

مَحَدُ رِسْوَلِ الْهُدَى وَالرَّحْمَةِ وَشَرِيعَةِ الْخَالِدَةِ

297.63
C286hA

وضعه

الفيلسوف الانجليزي الاكبر

نورمان كاريل

وعربه

محمد الباعبي

الاديب المصري المعروف

المكتبة الأهلية
في بيروت
للطبع والترجمة والتأليف والنشر

عني بطبعه ونشره - محمد جمال

صاحب المكتبة الاهلية - في بيروت

A.U.B. LIBRARY



توماس كارليل - مؤلف هذا الكتاب

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT





محمد رسول الله

الحياة جهاد ، وهذه الخلائق في ميدانها يتسابقون و يتزاحون ، فترى
سكبت الحلية يود ان يسبق مجليها الى الغاية ، وهو يرى بعينه وقلبه انه
مسبق ، وانه جد متأخر ، ولكن مطامع النفوس ومطامع الاهواء ، تدفعه
الى ما لا أمل في نيله ، وهو رغم غله بهذا لا يتوانى ابداً في النزول الى
الميدان ، ومزاحمة الفرسان ، فيجعل نفسه هزءاً لتسابقين ، وضحكة
للشامدين ،

ذلك هو مثل من يريد ان بغض من قبعة الرسالة الحميدة ، واثره - ا
البابغ في ترقية الامة العربية ، ورفع مكانة الخليفة الانسانية ، وتقدم هذا
العالم ، وفتح سبل النور الى قلبه ، ورفع الغشاوة عن عينه ، فرأى بعقله
ونظره ما يدفعه للوصول الى الغاية العمرانية ، وما تتطلبه من القوة والرقى
المادي والادبي ، الجثماني والروحاني ، على تفاوت في النظر اليهما ، واختلاف
في تحديد قوتيهما ، وما يجب ان يؤخذ منها وما يقتضي ان يترك ،

تلك هي رسالة النبي الكريم محمد بن عبد الله العربي القرشي الهاشمي
 هادم الاصنام ، ومعزز السلام ، واضع الندى في مواضعه كما وضع في
 مواضعه الحسام ، بني ركن التوحيد على عبادة الله وحده لا شريك له ،
 فجعل بذلك حداً لعبادة الناس بعضهم بعضاً ، وقضى على قوة الاقوياء ،
 والاعنياء ، والامراء ، وعيشهم بالضعفاء والفقراء ، والديماء ، وجعلهم في
 الحقوق عند الشريعة سواء ، فاذا راى تخلى بعضهم عن حقوقهم هذه وتركوها
 متعة ان يستعبد لهم ، خالف من اذلهم وظلمهم ، فما التبعة في ذلك الا عليهم
 « وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون »

واذا ما اوصلهم خنوعهم الى ما يألون منه اشد الالم ، ويصرخون من
 وقعه اولى الصراخ ، فما ذلك الا يجربون استسلامهم ، واشم اهلهم لما امرهم
 الله من عدم الخضوع والاستكانة الا لله ، او لمن يحكم باسم الله ، (وما
 ربك بظلام للعبيد)

.....

تلك هي شريعة النبي محمد بن عبد الله (عليه الصلاة والسلام) طلع
 منها من مكة ، فشت بنور ربها ، وضوء وضوحها ، وسهولتها وعدلها ،
 الى اقصى الارض ، لا يرددها غضب مسيطر ، ولا قوة مستأنف ، ولا جهالة
 جاهل ، ولا حسد عالم ،

وقد ثبتت على الدهر « وهي في المستقبل اكثر ثباتاً ورسوخاً » رغم
 ما احاط ابناءها من ضعف ونشئت ، وهرم وتقهقر ، فانما يضعف الجسم
 ويهرم ، ويفنى ويذول ، اما الروح فهي الحية الباقية الى الابد
 حاربها اعداء مشهورون من ارباب الاتحاد ، وقتلها كثير من زعماء
 النحل ، فما فازوا منها بباطل ، ذلك لانهم انما يحاربونها بسلاح مفلول ،

وعزم مخذول ، مبني على غاية شخصية ، او نزعة اقليمية ، او دعاية قومية
او خوفاً على منصب او جاه ، بذهب من يدهم و يخسرون ما يتنعمون به
في ظلال ما يزعمون الدفاع عنه والحذب عليه

ان ذلك لا يضير الشريعة المحمدية الا ردحاً من الزمن ، لا يلبث
ان يمر حتى تنبته الافكار والعقول ، الى وجوب البحث عن امر هذه
الشريعة الجذابة الفاتنة بمحاسنها وجمالها ، وعلو مكانتها في نفوس اهلها ، وفي
عقول من يوفق الى الاطلاع على حقائقها من الباحثين

ولا يعدم الحق انصاراً في كل زمان ومكان (سنة الله في خلقه)
فتلك المطاعن التي يوجهها الازدياء والجهلاء الى رسالة النبي صلى الله عليه
وسلم ، كانت سبباً دفع كثيراً من الاوربيين (من المتدينين والملحدين)
الى البحث والتنقيب عن حقيقة الشريعة الاسلامية ، وعن تاريخ الاسلام
فاهتدى الى الدخول فيه فريق كبير من عليه القوم ، وقاموا يبتشون هدايته
في نفوس اهلهم وجيرانهم وقومهم ، ويؤلفون الكتب وينشرونها ، طالبين
منهم التشرف بالنسبة اليه ، وهم كثر يكتفون جيشاً عظيماً منتشراً في
اوربا واسيركا ، وافريقيا والشرق الاقصى ، وهذا ما يسرنا نحن ابناء
العربية خاصة ، ويدخل الطامنة على ابناء الانسانية عامة ، لان تقارب
الافكار والعقول بيننا وبينهم يجعلنا في غبطة وسعادة ، لما في ذلك من
تخفيف التويلات والذكبات عنا وعنهم ، بسبب سوء التفاهم الماضي ،
وتلك العقيدة المغلوطة ، التي كانوا يتجهون بها ضدنا ، ويحاربون كل
نهضة منا ، خيفة من تقدمنا ، وهيبة لما في الاسلام اذا امتد (على زعمهم)
من قضاء على مدنيتهم وعمرانهم ..

الا وان الحقيقة قد ظهرت ووضحت ، وعلو القوم الصادقون : ان

الاسلام وشربعة محمد عليه السلام ، انما روحهما المدنية والعمران ، وترقية
النفس والاخلاق ، بالعلم والعرفان

ذلك اذا تمشي على سجيته النبوية الربية ، ولم تعبت به اهواء الاغراب
او مطامع الاقوياء المسيطرين

فهم ذلك من فهمه منهم ، وبقي قوم لا بد ان يفهموه يوماً ما ، وعند
ذلك يحق لنا ان نقول ان ذلك اليوم المنتظر هو عيد الانسانية الاكبر ،
يجتمع فيه الناس جنباً الى جنب ، وزائلاً الى رأي ، وعاطفة الى عاطفة ،
(اخواناً على سرر متقابلين)

ذلك هو الدين الحق ، الذي امرنا الله باتباعه ، فنعبد ونعجده ، وننظر
الى كل الناس نظرة اخوية ، فيها كل العدل والحق والحب والعطف

.....

اقول هذا وبين يدي فصل من كتاب (الابطال) لمؤلفه الفيلسوف
الانجليزي الاكبر (توماس كارليل) . قد ترجمه الكاتب القدير الممتاز
الاستاذ « محمد السباعي » في مصر ، ونشره الاديب العالم البليغ الاستاذ
عبد الرحمن البرقوقي صاحب مجلة البيان ، فاكبرت فيها هذه الهمة ،
وتلك الغيرة على امتنا ، وشكرت لهما هذا الفضل في اذاعة هذا الكتاب
النافع .

اما مؤلف الكتاب « كارليل » فتفهم من قراءة كتابه ان روحه
روح دينية ، بصورة عامة لا بشكل خاص ، اي انه مؤمن بوجد كل من
يدعو الى الايمان بالله ، والعمل الصالح ، وينهض بالامم الى الرقي العقلي
والعمراني ، وليس من طراز المؤمنين بدين من الاديان ، الذين يحاربون
غير دينهم مها كان ذلك الدين المخالف لهم على حق وفضيلة

فهو من هذا النوع الانساني العام الذي يحب الخير للبشرية ، حباً للخير
وللبشرية لا حباً بدين خاص ، ونفع خاص ، فهو انساني عام ، لا قومي خاص
تلك هي روح الرجل في مجمل كتابه ، الذي يبحث فيه عن الابطال
في صور : الآله . النبي . الشاعر . القديس . وغيرهم ، فهو يأخذ منهم
غاذج يعتقد احسن ما عرف الكون من الرجال ، ويقدمها الى البشرية
صورة عالية من صور الحق ، والفضيلة ، والكمال

ونما نغني هنا بما كتبه عن (رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقد
أبدع واغرب في تقديسه للرسول ، تقديسا وتزيها يكاد يكون اسلاميا .
فهو يؤيد الاسلامية وشرعيتها بشخص رسولها محمد بن عبد الله ، ويعده
صادقا منزها عن تهمة الكذب في دعواه ، فهو الرسول الامين الصادق ،
الذي أسدى الى الانسانية خيرا عظيما ،

هذا ما يقوله ويعتقده رجل من اعلام الانكليز ، ويدحض اقوال
خصوم النبي الغلاة ، الحائدين عن الحق ، المنحرفين عن الصواب ، جهلا
او عنادا او مكابرة ، فتراهم يطعن هؤلاء الخصوم طعناً مؤلماً لا هراة فيه
فيطردهم الى الخضم ، مضرجين بالكاذبهم وترهاتهم
هو يقول لهم في صراحة نيرة :

« لقد اصبح من العار على اي فرد متمدين ان يصغي الى ما يظن من
ان دين الاسلام كذب ، او ان محمد كذاب ، وأن لنا ان نحارب ما
يشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة . وهل رأيت ان رجلاً كاذباً
يستطيع ان يوجد ديناً ؟ والله ان الرجل الكاذب لا يقدر ان يبني
بيتاً من الطوب . . . كذب والله ما يذيعه اولئك الكفار ، وان ذخرفوه
حتى خيلوه حقاً وزور وباطل ، وان زينوه حتى اوهوه صدقاً ،

« ولست أريد محمداً هذا قط رجلاً كاذباً ، يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغيته ، أو يطمح إلى ملك و سلطان ، أو غير ذلك من الخفايا والصغائر ، وما الرسالة التي أداها إلا حق صراح ، وما كلمته إلا صوت صادق صادر من العالم المجهول ، وإنما هو قطعة من الحياة تفرغ عنها قلب الطبيعة ، فإذا هي شهاب قد أضاء العالم اجمع ، ذلك أمر الله ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وهذه حقيقة تدمع كل باطل وتدحض حجة القوم الكافرين »

ثم يذكر العرب ويطري أخلاقهم ، ويصفهم وصفاً حسناً ، مشبهاً إياهم بالطبيعة بما فيها من رقة وصلابة ، وأخلاق لطيفة ووعرة ، ويستشهد على رقتهم ونعمتهم فطرتهم ، بتهاقنهم على قول الشعر وسماعه والتغني به ، ثم يدحض ما يتشدد به بعض من أعمام النعصب ، واران على قلوبهم الكذب والتلفيق ، من زعمهم معاشرته النبي في صباه لبحيرا الراهب ، وهو قد رآه مرة واحدة في سفرة مع عمه أبي طالب ، يوماً واحداً هو مدة الاستراحة في ذلك المكان ، ولذلك أصل تاريخي بسيط جداً ، أراد منه الكاذبون أن يقولوا شيئاً يدعو إلى الشك ، وهو قول مدحوض من نفسه ، لا نفع به بكثير ولا قليل ، فجاء الفيلسوف كارليل على هذه الحادثة وعلى غيرها من أضاليل الأعداء فقال :

« أن محمداً في ذلك الوقت لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره ، ولم يكن يعرف إلا لغته ، وماذا عسى أن يتعلم غلام في هذه السن ؟ ؟ ويزعم المتعصبون والمحدون أن محمداً لم يكن ير يدبقياه إلا الشهرة ، ومفاخر الجاه والسلطان ، كلا وإيم الله ، لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير — ابن انقار ، والفول المتوقد المقلتين ، العظيم النفس المملوء رحمة وخيراً وحناناً

وبراً وحكمة وحمى واربعة وفيه - افكار غير الطمع الدنيوي ، ونوايا
خلاف طلب الجاه والسلطان ، ومما يبطل دعواهم ، انه قضى عنفوان شبابه
وحرارة صباه في تلك الميشة الهادئة المطمئنة ، لم يحاول اثناءها احداث
ضجة ولا دوي ، مما يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه وسلطة ولما يك
الا بعد الاربعين ان تحدث برسالة سماوية ، ولم يك الا بعد ان ذهب
الشباب واقبل المشيب ، ان فر بصدره ذلك البركان ، الذي كان
هاجماً ، وثار يريد امراً جليلاً ، وشأناً عظيماً ،

« اذن فلنضرب صفحاً عن مذهب الجائرين ، القائل ان محمداً كاذب
ونعد موافقتهم عاراً وسبياً وسخافة وحقاً ، فلتربأ بنفوسنا عنه ولنرفع ،
يقولون ان الدين ما كان لينتشر لولا السيف ، ولكن ما هو الذي اوجد
السيف ؟؟ هو قوة ذلك الدين ، وانه دين حق »

...

هذا بعض ما يقوله الرجل في رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو
شئت ان أطيل القول للزم ان انقل مقاله كله . . . وما اريد هذا ، بل اريد
لفت نظر الناس الى ما في كلامه من انصاف وعدل . ومقاله هذا يطلع
عليه القاري . بعد هذا الكلام ، فليمعن فيه النظر والتفهم برعياً

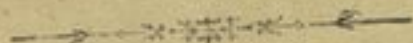
على ان في بعض ما يقوله ما لا يتفق مع ما نعتقد ونعلم من الامور ،
يأتي في تضاعيف كلامه ، ولكن له عذره في هذا ، فهو يقول ما يعتقد
ونحن لا نقدر على احراجه والزامه بعقيدتنا ، على ان ذلك قليل في كلامه
يشفع له فيه حسن نيته واخلاصه في ما يقول ويعتقد وخاصة اشدة دفاعه عن
الرسول عليه الصلاة والسلام وتبرئته من امور يتقوها عليه الغربيون وهو
براء منها كما يبري القاري ، وجماع القول ان الفيلسوف كارليل في كلمته عن محمد

« البطل في صورة رسول » قد أسدى الى الاسلام والحقيقة والانسانية منة
كبرى ، كثر الله من امثاله بين البشر

واني لاشكر لحضرة الفاضل السيد محمد جمال عنايته في طبع هذا المقال
كما اني ارجو تعميمه بين المسلمين بل بين ابناء العربية عامة ، ليقرأوا ما يقوله عن
ديننا رجل غريب عن ديننا وحنسنا واقتناء ، والله الموفق .

بشيرة يموت

بيروت : شوال ١٣٥٢ هجرية - شباط ١٩٣٤ ميلادية



البطل — في صورة رسول

— * —

محمد — الاسلام

تنتقل الآن من تلك العصور الخشنة — عصور الوثنية الشمالية — الى
دين آخر في امة اخرى — دين الاسلام في امة العرب — وما هي الا
قلعة بعيدة ويون شاسع ، بل اي رفعة وارتقا ، نراه هنا في احوال العالم
العامه وافكاره .

في هذا الطور الجديد ، لم ير الناس في بطلهم الها ، بل رسولا يوحى
من الآله ، وهذه هي الصورة الثانية للبطل ، فاما الاولى واقدم الجميع فقد
ذهبت الى حيث لا تعود ابداً ، ولن ترى الناس يوهلون البطل مهما عظم ،
بل لنا ان نسأل أكلت من اي فاس قط ، لنهم عمدوا الى رجل يروونه
ويلمسونه ، فقالوا هذا خالق الكون ، أنا لا اظن ذلك ، انما يقولون هذا
القول في رجل يتذكرونه ، او كانوا راوه ، على ان هذا ايضاً لن يكون
قط ، ولن يوهله البطل من ثم فصاعداً ، ولو بلغ منتهى العظمة .

لقد كان اعتبار الرجل العظيم الها غلطة وحشية فاحشة ، ولكن
فلنتل ان الرجل العظيم ، ما يوح في جميع الازمان لغزاً من الانغاز ، لا
ندري كيف نفهمه ، ولا كيف نستقبله ونعامله ! ولعل اهم مزايا جبل

من الاجيال ، هو كيفية استقباله لرجله العظيم ، وسواء استقبلوه كآله او كنبى ، او كيفا كان ، فذلك هو السؤال الاكبر ، ومن طريق اجابتهم عن هذا السؤال و كيفية مذهبهم في ذلك الامر ، يمكننا ان نبصر صميم حالتهم الروحانية كما لو كان من خلال نافذة .

فان الرجل العظيم اذ كان مصدره واحدا - اعني من ذات الله ، فهو جنس واحد : « او دين » او « لوثر » او « جونسون » او « بارنز » وارجو ان اوفق الى افهامكم ان جميع هؤلاء من طينة واحدة ، وانه لم يحدث اختلاف العظيم بين احدهم والاخر ، الا الهبة التي يكتسونها عم ، والطريقة التي يستقبلها بها اهل زمنهم .

من اكبر العار القول ان محمداً كذاب

لقد اصبح من اكبر العار ، على اي فرد متمدين من ابناء هذا العصر ان يصغي الى ما يظن من ان دين الاسلام كذب ، وان محمداً خداع مزور وأن انا ان نحارب ما يشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة ، فان الرسالة التي اداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس (١) امثالنا ، خلقهم الله الذي خلقنا ، افكان احدهم يظن ان هذه الرسالة التي عاش بها ، ومات عليها هذه الملايين الفاتنة الحصر والاحصاء ، ا كذوبة و خدعة ؟ اما انا فلا استطيع ان ارى هذا الرأي ابداً واذا كان الكذب والفش يروجان عند خلق الله هذا الزواج ، و يصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول ، فما الناس الا بله ومجانين ،

(١) بل ار بعانة مليون .

وما الحياة الا سخف وعيث واضلولة ، كان الاولى بها ان لا تخلق
فواسفاه ما اسوأ هذا الزعم وما اضعف اهله واحقهم بالرثاء والمرحمة
هذه الاقوال نتيجة اجيال الكفر وخبث القلوب

و بعد ، فعلى من اراد ان يبلغ منزلة ما في علوم الكائنات ان لا يصدق
شيئاً البتة من اقوال اولئك السفهاء ! فانها نتائج جيل كفر ، وعصر جحود
والخاد ، وهي دليل على خبث القلوب ، وفساد الضمائر ، وموت الارواح ،
في حياة الابدان ، ولعل العالم لم يرق قط رأياً اكفر من هذا والام
الرجل الكاذب لا يستطيع ان يبني بيتاً من الطوب
فكيف يوجد ديناً ؟ ؟

وعلى رأيتم قط معشر الاخوان ان رجلاً كاذباً يستطيع ان يوجد
ديناً عجيباً ، والله ان الرجل الكاذب لا يقدر ان يبني بيتاً من الطوب ! فهو
اذا لم يكن عالماً بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك ، فما
ذلك الذي يبنيه بيث ، وانما هو تل من الانقاض ، و كتيب من اخلاط
المواد ، نعم وليس جديراً ان يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً ، يسكنه مائتا
مليون من الانفس ، ولكنه جدير ان تنهار أركانه فينهدم فكانه لم يكن

قوانين الطبيعة

واني لاعلم انه على المرء ان يسير في جميع امره طبق قوانين الطبيعة ،
والا ابت ان تجيب طلبته وتعطيه بغيته ، كذب والله ما يذبحه أولئك
الكفار ، وان زخرفوه حتى خيلوه حقاً وزور وباطل وان زينوه حتى
أوهموه صدقاً ، وبخنة والله ، ومصاب أن ينخدع الناس شعوباً وأممًا بهذه

الاضاليل ، وتسود الكذبة وتقود بهاتيك الابطال ، وانما هو كما ذكرت لكم من قبيل الاوراق المالية المزورة يحتال لها الكذاب حتى يخرجها من كفه ، الاثيمة ، ويحق مصابها بالغير لابه ، واي مصاب وايكم ؟ مصاب كمصاب الثورة الفرنسية واشباهها من الفتن والحن ، تصبح بل ، أفواهها « هذه الاوراق كاذبة ! »

الرجل الكبير

اما الرجل الكبير خاصة ، فاني أقول عنه يقينا انه من المحال ان يكون كاذبا ، فاني ارى الصدق اساسه واساس كل ما به من فضل ومجدة ، وعندى انه ما كان رجل كبير -- ميرابو ، او نابليون ، او كرمويل -- كفواً تقيا بمعمل ما الا كان الصدق والاخلاص وحب الخير اول باعثاته على محاولة ما يحاول ، اعني انه رجل صادق النية جاد مخلص قبل كل شيء

اخلاص الرجل الكبير

بل اقول ان الاخلاص -- الاخلاص الحر العميق الكبير -- هو اول خواص الرجل العظيم كيفما كان ، لا ارى بداخلاص ذلك الرجل الذي لا يبرح يفتخر على الناس باخلاصه ، كلا فان هذا حقير جداً وأيم الله -- هذا اخلاص مطحي وقح -- وهو في الغالب غرور وفنتة ، انما اخلاص الرجل الكبير هو مما لا يستطيع ان يتحدث به صاحبه ، كلا ولا يشعر به بل لا حسب انه ربما شعر من نفسه بعدم الاخلاص ، اذ اين ذلك الذي يستطيع ان يلزم منهج الحق يوماً واحداً ؟ نعم ان الرجل الكبير لا يفخر باخلاصه قط ، بل هو لا يسأل نفسه أي مخلصه ، او بعبارة اخرى اقول

ان اخلاصه غير متوقف على ارادته ، فهو مخلص على الرغم من نفسه ، سواء
 اراد أم لم يرد ، هو يرى الوجود حقيقة كبرى تروعه وتهوله — حقيقة
 لا يستطيع ان يهرب من جلالها الباهر معها حاول ، هكذا خلق الله ذهنه
 وخلق ذهنه على هذه الصورة ، هو اول اسباب عظمته ، هو يرى الكون
 مدحشاً ومخيفاً وحقاً كالموت ، وحقاً كالحياة ، وهذه الحقيقة لا تفارقه
 ابداً ، وان فارقت معظم الناس فساروا على غير هدى ، وخطوا في غياهب الضلال
 والعماية ، بل تظل هذه الحقيقة كل لحظة بين جنبيه ، ونصب عينيه كأنها مكتوبة
 بحروف من الذهب ، لا شك فيها ولا ريب ، ها هي ! ها هي : — ناعرفوا
 هذا كم الله ان هذه هي اول صفات العظيم ، وهذا حده الجوهرى وتعرفه ،
 وقد توجد هذه في الرجل الصغير فهي جديرة ان توجد في نفس كل انسان
 خلقه الله ، ولكنها من لوازم الرجل العظيم ، ولا يكون الرجل عظيماً
 الا بها .

مثل هذا الرجل هو ما نسميه رجلاً اصلياً صافى الجوهر كريم العنصر
 — فهو رسول مبعوث من الابدية المجهولة برسالة الهنا ، فقد نسميه شاعراً او
 نبياً او الها ، وسواء هذا او ذلك ، فقد نعلم ان قوله ليس بماخوذ من رجل
 غيره ، ولكنه صادر من لباب حقائق الاشياء ، نعم هو يرى باطن كل
 شىء لا يحجب عنه ذلك باطل الاصطلاحات ، وكاذب الاعتبار ،
 والعادات والمعتقدات وسخيف الاوهام والاراء ، وكيف وان الحقيقة
 تسطع لهينه حتى يكاد يعشى لنورها .

كلمات الرجل العظيم

ثم اذا نظرت الى كلمات العظيم ، شاعراً كان او فيلسوفاً او نبياً او

فارساً أو ملكاً ، ألا تراها ضرباً من الوحي ! والرجل العظيم في نظري
مخلوق من فؤاد الدنيا وأحشاء الكون ، فهو جزء من الحقائق الجوهرية
للأشياء ، وقد دل على وجوده بهذه آيات ، أرى أن أحدثها وأجدها هو
الرجل العظيم الذي علمه الله العلم والحكمة ، فوجب علينا أن نصغي إليه قبل
كل شيء .

وعلى ذلك فلسنا نعد محمداً هذا قط رجلاً كاذباً متصنعاً يتدفع
بالحيل والوسائل إلى بغية ، أو يطمع إلى درجة ملك أو سلطان ، أو غير ذلك
من الخفايا والصغائر ، وما الرسالة التي أداها إلا حق صراح ، وما كلمته إلا
صوت صادق صادر من العالم المجهول ، كلاماً محمداً بالكاذب ولا الملقق
وانما هو قطعة من الحياة قد تفرقت عنها قلب الطبيعة ، فإذا هي شهاب قد
اضاء العالم اجمع ، ذلك أمر الله ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله
ذو الفضل العظيم ، وهذه حقيقة تدمع كل باطل ، وتدحض حجة القوم
الكافرين .

هفوات الرجل العظيم

ومب لمحمد (عليه السلام) غلطات وهفوات — وأي إنسان لا يخطئ .
إنما العصمة لله وحده — فإنه ليس في طاقة أية هفوات أو غلطات أن تزري
بتلك الحقيقة الكبرى ، وهي أنه رجل صادق ونبي مرسل
وأراقاً على العموم نجسم الهفوات ونجعل من الجزئيات حججاً تستر عنا
الحقائق الكلية — الهفوات ؟ أيحسب الناس أنه يخلو منها إنسان ؟ إن أكبر
الهفوات عندي أن يحسب المرء أنه بريء من الهفوات ، ما بال الناس لا
يذكرون نبي الله داود ؟ ألم يرتكب داود افظع الجرائم وأشنع الآثام ؟

الا ما اهن أمر الذنوب واصغر خطر الاغلاط — الجزئيات والقشور —
 اذا كان لبابها كريما وسرها حرا شريفا ، وكان في التوبة النصوح ، والندم
 الصادق ، ووخر الضمير ، ولذع الذاكرة ، اكبر مكفر للسيئات ،
 ومظهر لاردان الروح من ادران الشوائب ، أليست التوبة اكرم اعمال
 المرء فاطبة واقدس افعاله ؟ انما الالم الذنب هو كما قلت حسبان المرء انه يري
 من كل ذنب ، وكل نفس هذا شأنها ، فهي في نظري مطلقة من الوفاء
 والمروءة ، بعيدة عن التقى والبر والحق — او هي مينة — او ان تشأ فقل هي
 نقية نقاء الرمل الجاف الميت ، واني احسب ان سيرة داود وتاريخه كما هو
 مدون في مزاميره ، لاصدق آية على ارتقاء المرء في معارج المكرمات ،
 وعلى حرب العقل والهوى — حربا طالما ينهزم فيها العقل هزيمة تضعضع
 جانبه ، وتتركه لقي مشفيا على الانقراض ، ولكنها حرب بغير نهاية
 مشفوعة ابدأ بالبكاء والتوبة واستنهاض العزم الصادق ، الذي لا يبرح
 يتجدد بعد كل هزيمة

يا ويل النفس الانسانية ما اشد خطيها بين ضعفها وقوة شهواتها ، او
 ليست حياة الانسان في هذه الدنيا سلسلة عثرات ؟ وهل في استطاعة المرء
 خلاف ذلك ؟ وهل يطبق في ظلمات هذه الحياة الا الاعتساف والتخبط ؟ فما
 ينهض من عثرة الا لاخرى ، وبين هذه وتلك نجيب وعبرات وشهيق
 وزفرات ، وانما الامر المهم هو ، ايظفر جهواه بعد كل هذه المجاهدات ؟ وانا
 لنصفح عن كثير من الجزئيات ما دام اللباب حقا ، والصميم صحيحا ،
 وما كانت الجزئيات وحدها لتعرفنا حقيقة انسان

العرب وصفة جزيرة العرب

كانت عرب الجاهلية أمة كريهة ، تسكن بلاداً كريهة ، وكانوا خلق الله البلاد وأهلها على تمام وفاق ، فكان ثمت شبه قريب بين وعورة جبالهم ، ووعورة أخلاقهم ، وبين جفاء منظرها وجفاء طباعهم ، وكان يلطف من قسوة قلوبهم مزاج من اللين والدمائة ، كما كان يبسط من عبوس وجوه البلاد ، رياض خضراء وقيعان ذات أمواه وأكلا ، وكان الأعرابي صامتا لا يتكلم إلا فيما يعنيه ، إذ كان يسكن أرضاً قفراً يبالياً خرساء ، تحاها بحراً من الرمل بصطلي جمرة النهار طوله ، وبكافح بحر وجهه نفحات القر ليله

ولا احسب اناساً شأنهم الانفراد وسط الببد والقفار ، يحادثون ظواهر الطبيعة ، ويناجون أسرارها إلا ان يكونون اذ كياه القلوب ، حداد الخواطر ، خفاف الحر كة ناقي النظر ، واذا صح ان الفرص هم فرنسويو نلشرق ، فالعرب لا شك طليانه ، والحق اقول لقد كان اولئك العرب قوما اقوياء النفوس ، كأن أخلاقهم سيول ذفاقة لها من شدة حزمهم وقوة ارادتهم احصن سور وامنع حاجز ، وهذه واييكم أم الفضائل ، وذروة الشرف الباذخ وقد كان احدهم يضيفه ألد اعدائه فيكرم مثواه وينحر نه فاذا از مع الرحيل خلع عليه وجملة وشيعه ، ثم هو بعد كل ذلك لا ينجحهم عن ان يقاتله متى عادت به اليه الفرص ، وكان العربي اغلب وقته صامتا فاذا قال افصح :

ويزعمون ان العرب من عنصر اليهود ، والحقيقة انهم شار كوا

اليهود في مراة الجدة ، وخالفوهم في حلاوة الشمايل ، ورقة الظرف ، وفي المعبة
القرينة ، وار يحبة الدلب ، و كان لهم قبل زمن محمد (عليه السلام)
منافسات في الشعر ، يجرونها بسوق عكاظ في جنوب البلاد ، حيث كانت
تقام اسواق الدجاجة ، فاذا انتهت الاسواق تناشد الشعراء القصائد ، ابتغاء
جائزة تجعل للاجود قرصاً ، والاحكم قافية ، فكان الاعراب الجلفة
ذرو الطباع الوعرة ، يرتاحون انفات القصيد ، ويجدون لراتها اية لذة
فيتفتنون على المنشد كالغراش ، ويتهاكون

التدين في العرب

وأرى لهؤلاء العرب صفة من صفات الامريائيين واضحة فيهم ،
واحسن ثمرة الفضائل جميعها ، والمعامد بخلافها ، الا وهي التدين فانهم
مذ كانوا ، ما يروحوا شديدي التمسك بدينهم كبقيا كان ، كانوا يعبدون
الكواكب وكثيراً من الكائنات الطبيعية ، يرونها مظاهر الخالق ودلائل
على عظمته ، فهنا وان يلك خطأ فليس من جميع وجوهه ، فان مصنوعات
الله ما يرحت بوجه ما ، رموز آله ودلائل عليه ، ألسنا كما قدمت نعتدها
مفعرة للشاعر وفصيلة ، ان يكون يدرك ما بالكائنات من اسرار الجمال
والجلال او « امرار الجمال الشعري » كما اصطلح الناس على تسميته ؟ وقد
كان لهؤلاء العرب عدة انبياء كلهم استاذ قبيلة ومرشدها ، حسبما يقتضيه
مباغ علمه ورأيه ، ثم أليس تديننا من البراهين الساطعة ، ما يثبت لنا اي
حكمة بليغة ورأي مسدد ، وأي تقوى واخلاص قد كان لهؤلاء البدو
الذكورين ؟

سفر ايوب كتب في بلاد العرب

وقد اتفق النقاد ان «سفر ايوب» أحد أجزاء التوراة كتابنا المقدس قد كتب في بلاد العرب . ورأيت في هذا الكتاب فضلا عن كل ما كتب عنه أنه من أشرف ما سطر يراع ودونت يد كاتب ، ولا يكاد المرء يصدق أنه من آثار العبرانيين ، لما فيه من عمومية الافكار مع شرفها وسموها — عمومية تخالف التعصب والتحيز ، وحسب الكتاب شرفا أن يكون يضرب بعرق في كل نفس ، ويمت بصلة الى كل قلب ، ويكون كالبيت يفضي اليه متهى السبل ، وكالآرج الضائع تتنازع به جميع الانوف ، والكتاب المذكور هو اول ما جاءنا عن مسألة المسائل — حياة الانسان وفعل الله به في هذه الدار ، وقد انا بذلك في انصع بيان ، واشد اخلاص ، واحسن سهولة .

وانى لاتبين فيه العين البصيرة ، والقلب النافذ الفهم ، الجمل الخشوع فهو الحق من حيث جئته ، والنظر الراسب في قرارة كل شيء وصميم كل امر — مادي رو حاني ، الاتذكرون ما جاء فيه من ذكر الفرس «الله الذي اودع الرعد حنجرتة» «فهل ترى صهيله الا قهقهة لروية الرماح» هذا والله أجود الاستعارة ، وما احسب ان في عالم التشبيه كله ما يماثل ذلك او يقاربه ، ذلك الى ما في الكتاب المذكور من آيات الحزن الشريف ، والنو كل الحسن الجميل ، وما قرأت فيه قط الا حسبت قلب الانسانية يتروم شجى ووجداً ، ودمع الانسانية يفيض حرقة وكداً ، فيا لها من رقة في شدة ، ورافة في قوة ، وما أشبهها الا بسحر الليلة الصائفة — رقة نسيم في

جلال مشهد عظيم ، والا بالكون وكل ما فيه من أنجم و بحار و ليل ونهار
وما احسب ان في جميع التوراة شيئا يدانيه فضلا وقيمة

الحجر الاسود والكعبة

والحجر الاسود كان من اعم معبودات العرب ، ولا يزال للآن
بمكة في البناء المسمى « الكعبة » وقد ذكر المؤرخ الروماني « سيسلاس »
الكعبة فقال : انها كانت في مدته أشرف معابد العالم طرأ وأقدمها ، وذلك
قبل الميلاد بخمسين عاما ، وقال المؤرخ « سلفستاردي سامي » : ان
الحجر الاسود ربما كان من رجوم السموات ، فاذا صبح ذلك فلا بد أن
انسانا قد بصر به ساقطا من الجو ! والحجر موجود الان الى جانب البئر
زمزم ، والكعبة مبنية فوقها

بشر زمزم

والبئر كما تعلمون منظر حيثما كان سار مفرح ، ينبجس الماء من
الحجر الاصم ، كالحياة من الموت ، فما بالكم بها اذا كانت تفيض
بديمومة لا ظل في صحصحاتها ولا ماء اكن قورها الدهر عوم
ترى الآل فيها يلطم الآل مائجا و بارحها المسموم للوجه الطم
أظل اذا كافحتها و كأنني بوحاها دون اللثام ملثم
وقد اشتق لها اسمها « زمزم » من صوت تفجرها وعديرها ، والعرب
تزعمن انها تنبجست تحت اقدام هاجر واسماعيل فيضاً من الله وشفاء ، وقد
قدسها العرب والحجر الاسود ، وشادوا عليها الكعبة منذ الاف من السنين

الكعبة

وما اعجب هذه الكعبة واعجب شأنها ، فهي في هذه الآونة قائمة على قواعدها عليها الكسوة السوداء ، التي يرسلها السلطان كل عام ، يبلغ ارتفاعها سبعا وعشرين ذراعاً حولها دائرة مزدوجة من العمود وبها صفوف من المصابيح وبها نقوش وزخارف عجيبة ، وستوقد تلك المصابيح الليلة لتشرق تحت النجوم المشرقة ، فنعم اثر الماضي هي ونعم ميراث الغابر ، هذه كعبة المسلمين ، ومن اقاصي المشرق الى آخريات المغرب ، - من دلهي الى مرا كش تنوجه ابصار العديد الجمهر من عباد الله المصلين شطرها ، وتنفق قلوبهم نحوها ، خمس مرات هذا اليوم وكل يوم ، نعم لحي والله من اجل مرا كز المعمورة وأشرف اقطابها .

ومن شرف البئر زمزم ، وقدسنة الحجر الاسود ، ومن حج القبائل الى ذبلك المكان كأن منشأ مدينة مكة ، ولقد كانت هذه المدينة وقتنا ما ذات بال وشأن ، وان كانت الان قد فقدت كثيراً من اهميتها ، وموقعها من حيث هي مدينة سي ، جداً ، اذ هي واقعة في بطن من الارض كثير الرمال ، وسط هضاب قفرة ، وتلال مجدبة ، على مسافة بعيدة من البحر ، يمتار لها جميع ذخائرها من جهات اخرى حتى الخبز ، ولكن الذي اضطر الى ايجاد هذه المدينة هو ان كثيراً من الحجاج كانوا يطلبون المأوى ، ثم ان أما كن الحج ما زالت من قديم الزمان تستدعي التجارة فأول يوم يلتقي فيه الحجاج يلتقي فيه كذلك التجار والباعة ، والناس متى وجدوا انفسهم مجتمعين لغرض من الاغراض ، رأوا انه لا بأس عليهم ان يقضوا كل ما يعرض لهم من المنافع ، وان لم يكن في الحسبان ، لذلك

صارت مكة سوق بلاد العرب باجمعها ، والمرکز لكل ما كان من التجارة بين الهند و بين الشام ومصر ، بل و بين ايطاليا ، وقد بلغ سكانها في حين من الاحيان مائة الف نسمة بين بائعين ومشتريين وموردين ، ايضا نافع الشرق والغرب ، و باعة للمأكولات والغلال ، وكانت حكومتها ضربا من الجمهورية الارسطوقراطية ، عالمها صبغة دينية ، وذلك انهم كانوا ينتخبون لها بطريفة غير منظمة ، عشرة رجال من قبيلة عظمى ، فيكون هؤلاء احكام مكة وحراس الكعبة ، وكانت قریش في عهد محمد (وامره محمد من قبيلة قریش) و كان سائر الامة مبددا في انحاء تلك الرمال ، قاتل تفصل بين الواحدة والاخرى البيد والقفار ، وعلى كل قبيلة امير او امراء وربما كان الامير راعيا او ناقل امتعة ، ويكون في الغالب لصا !!! وكانت الحرب لا تخمد بين بعض هذه القبائل وبعضها ، ولم يك يوف بينهم حاف عاني الا التقاؤهم بالكعبة ، حيث كان يجتمعهم على اختلاف وثنيتهم مذهب واحد ورابطة الدم واللغة ، وعلى هذه الطريقة عاش العرب دهورا خاملي الذکر غامضي الشأن — اساسا ذوي مناقب جليلة وصفات كبيرة ، ينتظرون من حيث لا يشعرون ، اليوم الذي يشاد فيه بذكرهم و يعاير في الافاق صيتهم ، و يرتفع الى عنان السماء صوتهم ، وما ذلك بعيد ، و كانوا كانت وثنيتهم قد وصلت الى طور الاضمحلال ، اذنت السقوط ، وقد حدثت بينهم دواعي اختلاط وفوران ، و كان قد بلغهم على مدى القرون غوامض انباء عن اكبر حادثة وقعت على وجه البسيطة — اعني حياة المسيح ووفاته وهي التي احدثت انقلابا هائلا في جميع سكان العالم — فلم تعد هذه الانباء تأثيرها من الفوران في احشاء الامة العربية

مولد محمد ونشأته وقيام جده وعمه بتر بيته

وكان بين هؤلاء العرب التي تلك حالهم ، ان ولد محمد (عليه السلام) عام ٥٨٠ ميلادية ، وكان من امرة هاشم من قبيلة قريش ، وقد مات ابوه عقب مولده ، ولما بلغ عمره ستة اعوام توفيت امه — وكان لها شهرة بالجمال والفضل والعزل ، فقام عليه جده وهو شيخ قد ناهز المائة من عمره وكان صالحا باراً ، وكان ابنه عبد الله احب اولاده اليه ، فأبصرت عينه الهرمة في محمد صورة عبد الله ، فاحب اليتيم الصغير بكل قلبه ، وكان يقول ينبغي أن يحسن القيام على ذلك الصبي الجميل ، الذي قد فاق سائر الامرة والقبيلة حسناً وفضلاً ، ولما حضرت الشيخ الوفاة والغلام لم يتجاوز العامين ، عهد به الى ابي طالب اكبر اعمامه رأس الأسرة بعده ، فرباه عمه — وكان رجلاً عاقلاً كما يشهد بذلك كل دليل — على احسن نظام عربي

سفره للشام والتقاؤه بالراهب بحيرا

ولما شب محمد وترعرع صار يصحب عمه في أسفار تجارية وما اشبه وفي الثامنة عشرة من عمره نواه فارساً مقاتلاً يتبع عمه في الحروب ، غير أن أهم أسفاره وما كان ذلك الذي حدث قبل هذا التاريخ بيضع سنين — رحلة الى مشارف الشام ، اذ وجد الفتى نفسه هنالك في عالم جديد ازاء مسألة اجنبية عظيمة الاهمية جداً في نظره اعني الديانة المسيحية ، واني لست ادري ماذا اقول عن ذلك الراهب مرجاس « بحيرا » الذي يزعم ان ابا طالب ومحمداً سكنا معه في دار ، ولا ماذا عساه يتعلمه غلام في

هذه السن الصغيرة من اي راعب ما ، فان محمداً لم يكن يتجاوز اذ ذاك
الرابعة عشر ، ولم يعرف الا لغته ، ولا شك ان كثيراً من احوال الشام
ومشاهد ما لم يك في نظره الا خليطاً مشوشاً ، من اشياء ينكرها ولا يفهمها
ولكن الغلام كان له عينان ثاقبتان ، ولا بد من ان يكون قد انطبع على
لوحة فؤاده امور وشؤون ، فاقام في ثنابا ضميره ولو غير مفهومة ريثما
ينضجها له كره الغداة ومر العشي ، وتحلها له يد الزمن يوماً ما ، فنخرج
منها آراء وعقائد ، ونظرات نافذات ، فعمل هذه الرحلات الشامية كانت
لمحمد اوائل خير كثير ، وفوائد جمة

امية محمد

ثم لا ننسى شيئاً آخر ، وهو انه لم يتلق دروساً على استاذ ابداء كانت
صناعة الخط حديثة العهد اذ ذاك في بلاد العرب ، وبظهر لي ان
الحقيقة هي ان محمداً لم يكن يعرف الخط والقراءة ، وكل ما تعلمه هو
عيشة الصحراء واحوالها ، وكل ما وفق الى معرفته هو ما امكنه ان
يشاهده بعينه ، ويتلقاه بفؤاده ، من هذا الكون العديم النهاية ، وخجيب الواسع
الله امية محمد ، نعم انه لم يعرف من العالم ، ولا من علومه الا ما تيسر له ان
يبصره بنفسه ، او يصل الى سمعه في ظلمات صحراء العرب ، ولم يبصره ولم
يؤزر به انه لم يعرف علوم العالم ، لا قديمها ولا حديثها ، لانه كان بنفسه
غنياً عن كل ذلك ، ولم يقتبس محمد من نور اي انسان اخر ، ولم يعترف
من مناهل غيره ، ولم يك في جميع اشباهه من الانبياء والعظماء — اولئك
الذين اشبههم بالمصاييح الهادئة في ظلمات الدهور — من كان بين محمد وبينه

اذني صلة ، وانما نشأ وعاش وحده في احشاء الصحراء ، ونما هناك وحده
بين الطبيعة وبين افكاره .

صدق محمد منذ طفولته

ولوحظ عليه منذ فثاته انه كان شاباً مفكراً ، وقد سماه رفقاه
الامين - رجل الصدق والوفا - الصدق في افعاله واقوله وافكاره ، وقد
لاحظوا ان ما من كلمة تخرج من فيه الا وفيها حكمة لمينة ، واني لا عرف عنه
انه كان كثير الصمت ، بسكت حيث لا موجب للكلام ، فاذا نطق ،
فما شئت من لب وفضل واخلاص وحكمة ، لا يتناول غرضاً فيتركه الا
وقد اثار شبهته ، وكشف ظلمته ، وابان حجته ، استثار دفينته ، وهكذا
يكون الكلام والا فلا ، وقد راينا طول حياته ، رجلاً راسخ المبدأ ،
صارم العزم ، بعيد الهمة ، كريماً برأى ووفاء تقياً فاضلاً حراً - رجلاً شديد
الجد مخلصاً ، وهو مع ذلك سهل الجانب ، لين العرب بسكته ، جم البشر
والطلاقة ، حميد العشرة ، حلو الالئاس ، بل ربما مازج وداعب .

الابتسام الصادق والكاذب

وكان على العموم نضياً ، وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق ، لان
من الناس من تكون ابتسامته كاذبة ككذب اعماله واحواله - هؤلاء
لا يستطيعون ان يبتسموا ، و كان محمد جميل الوجه ، وضي الطلعة ، حسن
القامة ، زهي اللون ، له عينان سوداوان ، تتلألأان ، واني لا احب في
جبينه ذلك العرق الذي كان ينفخ ويسود في حال غضبه « كالعرق
المقوس الوارد في قصة الففازة الحمراء لوالتر سكوت » وكان هذا العرق

خصيصة في بني هاشم ، ولكنه كان ابن في محمد وأظهر ، نعم لقد كان
هذا الرجل حاد الطبع ، تاري المزاج ، ولكنه كان عادلا صادق النية ،
كان ذكي القلب ، شهم القواد :

لو ذعياً كأنما بين جنيد مصابيح كل ليل بهيم

مثالاً ناراً ونوراً ، رجلاً عظيماً بفطرته ، لم تثقفه مدرسة ، ولا هذبته
معلم ، وهو غني عن ذلك كالشوكة استغنت عن التنقيح ، فأدى عمله في
الحياة وحده في اعماق الصحراء

عيشته الهادئة وزواجه بخديجة

وما الذي وما أوضح قصته مع خديجة ، وكيف انه كان اولاً يسافر
في تجارات لها الى اسواق الشام ، وكيف كان ينهج في ذلك أقوم مناهج
الحزم والامانة ، وكيف جعل شكرها نه يزداد ، وحبها ينمو ، ولما
زوجت منه كانت في الاربعين ، وكان هو لم يتجاوز الخامسة والعشرين
وكان لا يزال عليها مسحة من ملاحه ، ولقد عاش مع زوجته هذه على اتم
وفاق ، والفة ، وصفاء ، وغبطة ، يخاض لها الحب وحدها ،

ومما يبطل دعوى القائلين (ان محمداً لم يكن صادقاً في رسالته بل
كان مدافقاً مزوراً) انه قضى عفوان شبابه ، وحرارة صباه ، في تلك
العيشة الهادئة المطمئنة ، لم يحاول اثناها احداث ضجة ولا دوي ، مما
يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه وسلطة ، ولما يك الا بعد الاربعين ان
تحدث برسالة سماوية ، ومن هذا النار يخ تبتدى حوادثه وشواذه ، حقيقة
كانت او مختلفة ، وفي هذا النار يخ توفيت خديجة ، نعم لقد كان حتى
ذلك الوقت يقنع بالعيش الهادي الساكناً ، وكان حسبه من الذكر

والشهرة ، حسن اراء ابائهم فيه ، وجعل ظنونهم به ، ولم يك الا بعد
أن ذهب الشباب ، واقبل المشيب ، ان فار بصدرة ذلك البر كان الذي
كان حاجباً ، وثار يريد أمراً جليلاً وشأناً عظيماً

محمد يرى من الطمع الدنيوي

و يزعم المتعصبون من النصارى والملاحدون ان محمداً لم يكن يريد
بقيامه الا الشهرة الشخصية ، ومفاخر الجاه والسلطان ، كلا وايم الله ، لقد
كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات ، المتوقد المقلتين
العظيم النفس ، الملوحة وخيراً ، وحناناً وبراً ، وحكمة وحجياً ، واربعة
ونهي - افكار غير الطمع الدنيوي ، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه

محمد مخلص نافذ البصيرة

لا يرضى بالاصطلاحات الكاذبة

وكيف وتلك نفس صامدة كبيرة ، ورجل من الذين
لا يمكنهم الا ان يكونوا مخلصين جادين ، فينما ترمي آخرين
يرضون بالاصطلاحات الكاذبة ، ويسرون طبق
الاعتبارات الباطلة ، اذ ترى محمداً لم يرض ان يلتفت بمألوف الا كاذب
و يتوشع بمتبع الا باطل ، لقد كان منفرداً بنفسه العظيمة ، وبحقائق
الامور والكائنات ، لقد كان سر الوجد يسطع لعينه ، كما قلت ، باهواله
ومخاوفه ، ورواقه ومباهره ، لم يك هنالك من الا باطل ، ما يحجب ذلك
، فكان لسان حال ذلك السر الهائل يناجي « ها أنذا » فمثل هذا
الاخلاص لا يخلو من معني الهي مقدس ، وما كلمة مثل هذا الرجل الا

صوت خارج من مسمي قلب الطبيعة ، فاذا تكلم فكل الاذان يرغمها صاغية
وكل القلوب واعية ، وكل كلام ما عدا ذلك هباء ، وكل قول جفاء
وما زال منذ الاعوام الطوال - منذ ايام رحلاته واسفاره يجول بخاطر
آلاف من الافكار : ماذا انا ؟ وما ذلك الشي العديم النهاية ، الذي
اعيش فيه ، والذي يسميه الناس كونا ؟ وما هي الحياة ؟ وما هو الموت ؟
وماذا اعتقد ؟ وماذا افعل ؟ فهل اجابته عن ذلك صخور جبل حراء او
شمار يخ طود الطار ، او تلك القفار والغلات ؟ كلا ولا قبة الفلك
الدوار ، واختلاف الليل والنهار ، ولا النجوم الزاهرة ، والانواء الماطرة ، لم
يجبه لا هذا ولا ذاك ، وما للجواب عن ذلك الا روح الرجل ، والا ما
اودع الله فيه من سره !

وهذا ما ينبغي لكل انسان ان يسأل عنه نفسه ، فقد احسن ذلك
الرجل القفري ، ان هذه هي كبرى المسائل ، واهم الامور ، وكل شي
عديم الالهية في جانبها ، وكان اذا بحث عن الجواب في فرق اليونان الجدلية
او في روايات اليهود المبهمة او نظام وثنية العرب الفاسد لم يجده

الرجل العظيم ينظر من خلال الظواهر

الى البواطن ولا يتقيد بالعادات والتقاليد

وقد قلت ان اهم خصائص البطل ، واول صفاته وآخرها هي ان ينظر
من خلال الظواهر الى البواطن ، فاما العادات والاستعمالات والاعتبارات
والاصطلاحات فينبذها ، جيدة كانت او رديئة ، وكان يقول في نفسه :
« هذه الاوثان التي يعبدها القوم لا بد من ان يكون وراءها ودونها شي »

ما هي الا رمز له ، واسارة اليه ، والا فهي باطل وزور وقطع من الخشب
لا تضير ولا تنفع » وما لهذا الرجل والاصنام ! واني توثر في مثله او ثان
ولو رصعت بالنجوم لا بالذهب ، ولو عبدها الجمال من عدنان ، والاقبال
من حمير ؟ اي خير له في هذه ولو عبدها الناس كافة ؟ انه في واد وهم في
واد ، وهم يعمهون في ضلالهم ، وهو مائل بين يدي الطبيعة قد سطعت
لعينيه الحقيقة الهائلة فاما ان يجيبها ، والا فقد حبط سعيه و كان من الخاسرين
فلتجيبها يا محمد ! اجب لا بد من ان توجد الجواب ، ايزعم الكاذبون ان
الطمع وحب الدنيا هو الذي اقام محمداً واثاره ؟ حق وايم الله وسخافة
وهوس هذا الزعم ، اي قئدة لمثل هذا الرجل في جميع بلاد العرب ، وفي
تاج قبصر وصولجان كسرى ! وجميع ما بالارض من تيجان وصوالجة !
واين نصير الممالك والتيجان والدول جميعها بعد حين من الدهر ؟ افي مشيخة
مكة ، وقضيب مفضض الطرف ، او في ملك كسرى وتاج ذهبي
الدواية ، منجاة للمرء ومظفرة ؟ كلا - اذن فلنضرب صفحاً عن مذهب
الجائرين القائل ان محمداً كاذب ، ولنعد موافقتهم عاراً وسبة وسخافة وحققاً
ولتر بأبنفسنا عنه ولنترفع .

اختلاء محمد بنفسه واعتزاله الناس في شهر رمضان

وكان من شأن محمد أن يعتزل الناس شهر رمضان ، فينقطع الى
السكون والوحدة ، دأب العرب وعاداتهم ونعمت العادة ما أجل وانفع
ولا سيما لرجل كمحمد ، لقد كان يخلو الى نفسه فيناجي ضميره ، صامتا بين
الجبال الصامتة متفتحاً صدره لاصوات الكون الغامضة الخفية ، اجل حبذا
تلك عادة ونعمت .

اتداء البعثة

فلما كان في الاربعين من عمره وقد خلا الى نفسه في غار يجبل
 « حراء » قرب مكة شهر رمضان ، ليفكر في تلك المسائل الكبرى ،
 اذ هو قد خرج الى خديجة ذات يوم وكان قد استصحبها ذاك العام ونزلها
 قريبا من مكان خلوته ، فقال لها انه بفضل الله قد استجلى غامض السر ،
 واستثار كامن الامر ، وانه قد انارت الشبهة ، وانجلي الشك وروح الخفاء ،
 وان جميع هذه الاصنام محال وليست الا اخشابا حقيرة ، وان لا اله الا الله
 وحده لا شريك له فهو الحق وكل ما خلاه باطل ، خلقنا وبرزقنا ، وما
 نحن وسائر الخلق والكائنات الا ظل له ومستار ، يحجب النور الابدي ،
 والرويق المرمسي ، الله اكبر والله الحمد .

حقيقة الاسلام وكلمة « جابتي » فيه

ثم الاسلام وهو ان نسلم الامر لله ، ونذعن له ونسكن اليه ونترك
 عليه ، وان القوة كل القوة هي في الاستئمان لحكمه والخضوع لحكمته ، والرضا
 بقضائه ، اية كانت في هذه الدنيا وفي الآخرة ، ومهما يصيبنا به الله ولو كان
 الموت الزؤام ، فلننتلقه بوجه مبسوط ، ونفس مغتبطة ، راضية ، ونعلم انه الخير
 وان لا خير الا هو

كلنا مسلمون

ولقد قال شاعر الالمان واعظم عظمائهم « جابتي » : اذا كان ذلك
 هو الاسلام ، فكلنا اذن مسلمون ، نعم كل من كان فاضلا شريفا خلق
 فهو مسلم ، وقد ما قيل : ان متهى العقل والحكمة ليس في مجرد الاذعان

للضرورة — فان الضرورة تخضع المرء برغم انفه ، ولا فضل فيما يأتيه
 الانسان مكرها — بل في اليقين بأن الضرورة الاليمة المرة هي خير ما يقع
 للانسان ، وافضل ما يناله ، وان لله في ذلك حكمة تلتطف عن الافهام
 وتدفق عن الاذهان ، وانه من الافق والسعف ان يجعل الانسان من
 دماغه الضئيل ، ميزانا لذلك العالم واحواله ، بل عليه ان يعتقد ان للكون
 قانونا عادلا ، وان غاب عن ادراكه ، وان الخير هو اساس الكون
 والصالح روح الوجود ، والنفع لباب الحياة ، نعم عليه ان يعرف ذلك
 ويعتقده ويتبعه في سكوت وتقوى

اقول وما زالت هذه الخطة المثلى ، والمذهب الأشرف الاظهر ، وما
 زال الرجل مصيباً وظافراً ، وحرّاً وكريمّاً وسائراً على المنهج الاقوم
 وسالكاً سبيل السعادة ، وما دام معتصماً بحبل الله ، متمسكاً بقانون
 الطبيعة ، الاكبر الامكن ، غير مبال بالقوانين السطحية ، والظواهر
 الوقتية ، وحسابات الربح والخسارة ، فهو ظافر اذا اتبع ذلك القانون
 الكبير الجوهري — قطب رحي الكون ومحور الدهر — وليس بظافر
 اذا فعل غير ذلك ، وحقاً ان اول وسيلة تؤذي الى اتباع هذا القانون
 هو الاعتقاد بوجوده ثم بانه صالح بل لاشي غيره صالح ! وهذا يا اخواني هو
 روح الاسلام ! وهذا هو ايضاً روح النصرانية ، والاسلام لو تفقهون ضرب
 من النصرانية . والاسلام والنصرانية يأمراننا ان نقول كل على الله قبل كل شيء ،
 وان نقطع النفس عن الشهوات وننهي القلب عن الهوى ، وان لا نجتمع في عنان
 المني ، وان نصبر على البث والاسي ، وان نعرف انا لا نعرف شيئاً ، وان نرضي
 من الله كل ما قسم ، ونعدها يداً بيضاء ، ونعده غراء ، ونقول الحمد لله على كل حال

وتبارك الله ذو الفضل والجلال ، ونقول : « انا بقسمة الله راضون ، ولو
كان ما قسم لنا المنون »

الوحي وجبر بل

فن فضائل الاسلام : تضحية النفس في سبيل الله ، وهذا اشرف ما
ما نزل من السماء على نبي الارض ، نعم هو نور الله قد سطع في روح ذلك
الرجل ، فانار ظلماتها ، هو ضياء باهر ، اكشف تلك الظلمات التي كانت
توءذن بالخسران والهلاك وقد سماه محمد « عليه السلام » وحياً
و « جبر بل » ، وابنا يستطيع ان يحدث له اسماء ؟ لم يجبي في الانجيل
ان وحي الله يهبنا الفهم والادراك ؟ ولا شك ان العلم والنفاذ الى صميم
لامور وجواهر الاشياء ، لسر من اغمض الاسرار لا يكاد المنطقيون
يلمسون منه الا قشوره ، وقد قال نوافليس : « اليس الايمان هو المعجزة
الحقة الدالة على الله ؟ » فشعور محمد اذ اشتعلت روحه بلهب هذه الحقيقة
الساطعة ، بان الحقيقة المذكورة هي اهم ما يجب على الناس علمه ، لم يك
الا امراً بديهياً

معنى كلمة محمد رسول الله

و كون الله قد انعم عليه بكشفها له ، ونجاء من الهلاك
والظلمة ، و كونه قد اصبغ مضطراً الى اظهارها للعالم اجمع — هذا
كلمة هو معنى « محمد رسول الله » وهذا هو الصدق الجلي والحق المبين
فضل السيدة خديجة وعلي وزيد بن حارثة

و يخيل البنا ان الصالحة خديجة اصغت اليه في دهشة وشك ، ثم آمنت

وقالت : « اي وربى انه لحق » وتخيّل ان محمداً شكر لها ذلك الصنيع ورأى في ايمانها بكلمته المخلصه المقدوفة من بر كان صدره ، جميلاً يفوق كل ما اسدت اليه من قبل ، فانه ليس ارواح لنفس المرء ، ولا اثلج لحشاه من ان يجد له شريكاً في اعتقاده ، ولقد قال نوفليس : « ما رأيت شيئاً قط آكد ليقيني ، واوثق لاعتقادي من انضمام انسان اخر الي في رأيي » نعم انه لصنيع اغر ، ونعمة وفيرة ، وكذلك ما انفك محمد يذكر خديجة حتى لقي ربه ، حتى ان عائشة — زوجة الصغيرة المحبوبة تلك التي اشتهرت بين المسلمين بجميع المناقب والفضائل طويلاً حياتها — هذه السيدة البارعة الجمال والفطنة ، سألته ذات يوم : « الست الان افضل من خديجة ؟ » لقد كانت ارملة مسنة قد ذهب جاهها ، وارك تحبني اكثر مما كنت تحبها . » فأجاب محمد : « كلا والله لست افضل منها وكيف وهي التي آمنت بي ، والكل كافر ومنكر ، ولم يك لي في هذا العالم الا صديق واحد — وهذا الصديق هي — وقد امن به مولاه زيد بن حارثة ، وعلي (عليه السلام) وهو لاء الثلاثة اول من آمن به .

الدعوة الى الاسلام وما قاله محمد في سبيلها

وجعل يذكر رسالته لهذا ولذا ، فما كان يصادف الاجوداً وسخرية ، حتى انه لم يؤمن به في خلال ثلاثة اعوام الا ثلاثة عشر رجلاً وذلك متبعي البطء وبش التشجيع ، ولكنه المنتظر في مثل هذه الحال وبعد هذه السنين الثلاث ادب مادبة لار بعين من ذوي قرابته ، ثم قام بينهم خطيباً ، فذكر دعوته وانه يريد ان يذيعها في سائر انحاء الكون

وانها المسألة الكبرى بل المسألة الوحيدة ، فأيهم يد اليه يده وبأخذ بناصره ؟

مروءة علي ونجدته

وبينما القوم صامتون حيرة ودعشة وثب علي (كرم الله وجهه)
 - وكان غلاماً في السادسة عشرة - وكان قد غاطه سكوت الجماعة
 فصاح في أحد لحظة ، نه ذلك النصير والظهير ، ولا يحتمل ان القوم كانوا
 منابذين محمداً ومعاديه ، وكلهم من ذوي قرابه ، وفيهم أبو طالب عم محمد
 وأبو علي ، ولكن روية رجل كهل امي عينه غلام في السادسة عشرة
 يقومان في وجه العالم باجمع ، كانت مما يدعو الى العجب المضحك ، فانفض
 القوم ضاحكين ، ولكن الامر لم يلك بالمضحك ، بل كان نهاية في الجدة
 والخطر ، اما علي فلا يسعنا الا ان نخبر ونتمشقه ، فانه فتى شريف القدر
 كبير النفس يفيض وجدانه رحمة وبراً ، ويتألق فوائده نجدة وحامسة ،
 وكان اشجع من ليث ، ولكنها شجاعة ممزوجة بوقفة ولطف ، ورأفة
 وحنان ، جديراً بفرسان الصليب في القرون الوسطى ، وقد قتل بالكوفة
 غيلة ، وانما نحن ذلك على نفسه بشدة عدله حتى حسب كل انسان عادلاً
 مثله ، وقال قبل موته حينما اومر في قتاله : « ان اعش فالامر الي ، وان
 مت فالامر لكم ، فان اثرتم ان تقتضوا فضر به بضر به ، وان تعفوا اقرب
 الى التقوى »

اسمى به قر يش من عمل محمد

وكان في عمل محمد هذا اساءة ولا شك لي قر يش ، حراس الكعبة
 وخدمة الاصنام ، وانضم اليه منهم رجلان او ثلاثة اولو بأس ونفوذ ،

ومررى امر محمد بيضاء ، ولكنه مر بان على كل حال ، وكان عمله بالطبع
معي الوقع لدى كل انسان ، وجعلوا يقولون من هذا الذي يزعم انه اعقل
ما جميعا ؟ والذي يعنفنا و يرمينا بالحنى و عبادة الخشب ؟

نصيحة ابي طالب وعزيمة محمد

واشار عليه ابو طالب ان يكتم امره و يؤمن به وحده ، وان يكون
له من نفسه ما يشغله عن العالم ، وان لا يسخط القوم و يثير غضبهم عليه
فيخطر بذلك حياته ، فاجابه محمد : « والله لو وضعوا الشمس في يميني ،
والقمر في يساري ، على ان اترك هذا الامر ، حتى يظهره الله ، او اهلك فيه
ما تركته » كلا فان في هذه الحقيقة التي جاء بها ، شيئا من عنصر الطبيعة
ذاتها ، لا تفضله الشمس ولا القمر ، ولا اي مصنوعات الطبيعة ، ولا
بد انك الحقيقة من ان تظهر ، برغم الشمس والقمر ، ما دام قد اراد ان
تظهر ، و برغم قرين جميعها ، و بكره سائر الخلائق والكائنات ، نعم
لا بد من ان تظهر ، ولا يسعها الا ان تظهر ، بذلك اجاب محمد ،
و يقال انه « اغرورقت عيناه » اغرورقت عيناه : لقد احس من عمه البر
والشفقة ، وادرك وعورة الحال ، وعلم انه امر ليس باهين اللين ، ولكنه
امر صعب المراس مر المذاق

مواصلة محمد الدعوة واحتماله الشدائد

واستمر يؤدى الرسالة الى كل من اصغى اليه ، وينشر مذهبه بين
الحبيج ، مدة اقامتهم بمكة ، و يستميل الاتباع هنا وهناك ، وهو يلقي
اثناء كل ذلك مناظرة ومناوأة ، ومناصبة بالعداوة ، وبجسارة وشرأباديا

و كائنات ، وكانت اقارب به تحميه وتدافع عنه ، ولكنه عزم هو واتباعه على الهجرة الى الحبشة ، فوقع خبر ذلك العزم من قريش اسوأ موقع ، وضاعف حنقهم عليه فنصبوا له الاشرار ، وبشوا الجبائل ، واقسموا بالآلهة ليقتلن محمداً بأيديهم ، وكانت خديجة قد توفيت وتوفي ابو طالب ، ونعلمون اصاحكم الله ان محمداً ليس بحاجة الى ان يرثي له وحاله النكران اذ ذاك ومقامه الضنك ، وموقفه الحرج ، ولكن اعرفوا معي ان حاله اذ ذاك من الشدة والبلاء لم ير مثلاً انسان قط ، فلقد كان يخنبي في الكهوف وبغور متنكراً الى هذا المكان ، والى ذاك ، لا مأوى ولا مجير ، ولا ناصر ، تهدده الخوف ، وترعده الهلكات ، وتفغر له افواهها المنايا ، وكأن الامر يتوقف احبائنا على ادنى صغيرة — كاجفال فرس من افراس اتباع محمد — فلو حدث ذلك لضاع كل شيء ، ولكن امر محمد — ذلك الامر العظيم ما كان ليتهي على مثل تلك الحال

نأب قريش على محمد ليقتلوه وهجرته الى المدينة

فلما كان العام الثالث عشر من رسالته ، وقد وجد اعداءه متآلبين عليه وكانوا اربعين رجلاً ، كل رجل من قبيلة ، ائتمروا به ليقتلوه ، والفي المقام بمكة مستجيلاً ، هاجر الى يثرب حيث التف به الانصار ، والبسطة تسعي الان « المدينة » اي مدينة النبي ، وهي من مكة على ٢٠٠ ميل ، تقوم وسط صحور وقفار ، ومن هذه الهجرة ينسب التاريخ في المشرق ، والسنة الاولى من الهجرة توافق ٦٢٢ ميلادية ، وهي السنة الخامسة والخمسون من عمر محمد ، فقبرون انه كان قد اصبغ اذ ذاك شيخاً ، وكان اصحابه يموتون واحداً بعد واحد ، ويخلون امامه مسلكا وعراً ، وسبيلاً قفراً ، وخطبة

نكرا ، لموحشة ، فاذا هو لم يجد من ذات نفسه مشجعا ومحركا ، ويفجر بعزمه بنوع امل بين جنبيه ، فهميات ان يجد بارات الامل ، فيما يحرق به من عوايس الخطوب ، ويحيط به من كالحات الغن والملمات ، وهكذا شأن كل انسان في مثل هذه الاحوال .

الرد على التالمين بان الاسلام قد انتشر بالسيف

و كانت نية محمد حتى الان ان ينشر دينه بالحكمة ، والموعظة الحسنة فقط ، فلما وجد ان القوم الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته السماوية ، وعدم الاصغاء الى صوت ضميره وصيحه له ، حتى ارادوا ان يسكتوه فلا ينطق بالرسالة — عزم ابن الصحراء على ان يدافع عن نفسه ، دفاع رجل ثم دفاع عربي ، ولسان حاله يقول اما وقد آت قرش الا الحرب ، فليظنوا اي فتيان هيجاء نحن ، وحقا رأي فان اولئك القوم اغتفوا اذنهم عن كلمة الحق ، وشريعة الصدق ، وابوا الا تماديا في ضلالهم يستبيحون الحريم ، وحين تكون الحرمات ، يسلبون وينهبون ، ويقتلون النفس التي حرم الله قتلها ، وياتون كل اثم ومنكر ، وقد جاءهم محمد من طريق الرفق والافاة ، فابوا الا عنوا وطغيانا ، فليجعل الامر اذن الى الحسام المهند ، والشبيح المقوم ، والى كل مسرودة حصدا ، وسابحة جرداء ، وكذلك قضى محمد ببقية عمره وهي عشر سنين اخرى في حرب وجهاد ، لم يسترح غمضة عين ولا مدر فواق ، وكانت النتيجة ما تعلمون ؟

ولقد قبل كثير آ في شأن نشر محمد دينه بالسيف ، فاذا جعل الناس ذلك دليلا على كذبه ، فشد ما اخطأوا وجاروا ، فهم يقولون : ما كان الدين لينتشر لولا السيف ، ولكن ما هو الذي اوجد السيف ؟ هو قوة

ذلك الدين وانه حق ، والرأي الجديد اول ما ينشأ يكون في رأس رجل واحد ، فالذي يعتقد هو فرد - فرد ضد العالم اجمع ، فاذا تناول هذا الفرد سيفاً وقام في وجه الدنيا نقلاً لوالده بضيق ، وأرى على العموم ان الحق ينشر نفسه بآية طريقة ، حسبما تقتضيه الحال ، أو لم تروا ان النصرانية كانت لا تأنف ان تستخدم السيف احياناً ؟ وحسبكم ما فعل شارلمان بقبائل السكسون ، وانا لا احفل اكان انتشار الحق بالسيف ، ام باللسان ام بآية آله اخرى

لا يصح الا الصحيح

فلندع الحقائق ننشر سلطانها بالخطابة او بالصحافة او بالنار ، لندعها تكافح وتجاهد بايديها وارجلها واظفارها ، فانها لن تهزم الا ما كان يستحق ان يهزم ، وليس في طاقتها قط ان تفني ما هو خير منها ، بل ما هو احط وادنى ، فانها حرب لا حكم فيها الا الطبيعة ذاتها ، ونعم الحكم ما عدل وما اعدل ، وما كان اعظم جذراً في الحق ، واذهب اعراقاً في الطبيعة ، فذلك هو الذي ثرونه بعد المهرج والمرج والضوضاء والجلبة ، نامياً زاكياً وحده

عدل الطبيعة

اقول الطبيعة اعدل حكم ، بل ما اعدل وما اعقل وما ارحم وما احلم انك تأخذ حبوب القمح لتجعلها في بطن الارض ، وربما كانت هذه الحبوب مخلوطة بقشور وتبن وقمامة وتراب ، وسائر اصناف الاقذار ولكن لا بأس عليك من ذلك ، والى الحبوب بجميع ما يخالطها من القذى في

جوف الارض العادلة البارة ، فانها لا تعطيك الا قمحاً خالصاً نقياً ، فاما
القذى فانها تبلعه في سكون وتدفعه ولا تذكر عنه كلمة ، وما هي الا
برهة حتى ترى القمح راكياً يهتز كأنه سبائك الذهب الا يوزن ، والارض
الكريمة قد طوت كشعاً على الاقداء واغضت بل انها حولتها كذلك الى
اشياء نافعة ولم تشك منها شعوراً ولا نصيباً وهكذا الطبيعة في جميع شؤنها
فهي حق لا باطل ، وهي عظيمة وعادة ورحمة حنون ، وهي لا تشترط
في الشيء الا ان يكون صادق اللباب حر الصميم ، فاذا كان كذلك
حمته وحرسه ، او كان غير ذلك لم تحمه ولم تحرسه ، فترى لكل شيء تحميه
الطبيعة روحاً من الحق ، اليس شأن حبوب القمح هذه والطبيعة هو شأن
كل حقيقة كبرى ، جاءت الى هذه الدنيا او تجيء فيها بعد ؟ اعني ان
الحقيقة مزيج من حق و باطل ، نور في ظلام ، وتحيثنا الحقائق في اثواب
من القضايا المنطقية والنظرات العلمية عن الكائنات ، لا يمكن ان تكون
تامة صحيحة صائبة ، ثم لا بد من ان يجيء يوم يظهر فيه قصصها وخطوطها
وجورها ، فتموت وتذهب ، نعم يموت ويذهب جسم كل حقيقة ، ولكن
الروح يبقى ابدأ ويتخذ ثوباً اظهر ، وبدناً اشرف ، وما يزال ينتقل من
الاثواب والابدان من حسن الى احسن وجيد الى اجود ، سنة الطبيعة
التي لا تتبدل ، نعم ان جوهر الحقيقة الكريم حي لا يموت وانما النقطة المهمة
والامر الوحيد الذي يعرض في عكمة الطبيعة ومجلس قضائها ، هو هل هذا
الروح حق وصوت من اعماق الطبيعة ؟ وليس بهم عند الطبيعة ما نسميه
نقاء الشيء او عدم نقيه وليس هو بالسؤال النهائي ، ليس الامر المهم عند
الطبيعة حينما تقدم اليها انت لتصدر حكمها فيك ، هو افليك اقدار واكدار
ام لا ؟ وانما هو افليك جوهر حق وروح صدق ام لا ؟ او بعبارة تشبيهية

ليس السؤال المهم عند الطبيعة هو أفيك قشور أم لا ؟ بل أفبك قش ؟
 يقول بعض الناس انه نقي اني اقول له : نعم نقي - نقي جداً ولكنك
 قشر - ولكنك باطل واكذوبة وزور وثوب بلا روح وبجرد اصطلاح
 وعادة وما امتد بينك وبين سر الكون وقلب الوجود بسبب ولا صلة ،
 والواقع انك لا نقي ولا غير نقي ، وانما انت لا شيء ، والطبيعة لا تعرفك
 وانها منك براء .

الاسلام والنصرانية

في ذلك الزمن

نحن سمينا الاسلام ضرباً من النصرانية ولو نظرنا الى ما كان من
 سرعته الى القلوب وشدة امتزاجه بالنفوس واختلاطه بالدماء في العروق لا يقنانه
 كان خيراً من تلك النصرانية التي كانت اذ ذاك في الشام واليونان وسائر تلك
 الاقطار والبلدان - تلك النصرانية التي كانت تصدع الرأس بضوضائها
 الكاذبة ، وتترك القاب ببطانها قفراً ميتاً ! على انه قد كان فيها عنصر من
 الحق ، ولكنه ضئيل جداً ، وبفضله فقط آمن الناس بهاء ، وحقاً انها كانت
 ضرباً كاذباً من النصرانية ، كالدعي بين الاصلاء ، ولكنها ضرب حي
 على كل حال ذو حياة قلبية وليست مجرد قضايا قفوة ميتة .

فضاء محمد على وثنية العرب

والعقائد الفاشية في تلك الايام

ونظر محمد من وراء اصنام العرب الكاذبة ومن وراء مذاهب

اليونان واليهود ، ورواياتهم وبرايمهم ، ومزاعمهم وقضاياهم — نظر ابن القفار والصحاري بقلبه البصير الصادق ، وعينه المتوقدة الجليلة الى لباب الامر وصميمه فقال في نفسه : الوثنية باطل ، وهذه الاصنام التي تصقلونها بالزيت والدهن فيقع عليها الذباب ، اخشاب لا تضر ولا تنفع ، وهي منكر وفظيع وكفروا بتعالون ، انما الحق ان لا اله الا الله وحده لا شريك له خلقكم وبيده حياتكم وموتكم ، وهو ارفع بكم منكم ، وما اصابكم من شيء فهو خير لكم لو كنتم تفقهون

وان ديناً آمن به اولئك العرب الوثنيون وامسكوه بقلوبهم النار به لجدير ان يكون حتماً وجدير ان يصدق به ، وان ما اودع هذا الدين من القواعد هو الشيء الوحيد الذي للانسان ان يؤمن به ، وهذا الشيء هو روح جميع الاديان — روح تلبس اثواباً مختلفة واثواباً متعددة ، وهي في الحقيقة شيء واحد ، واتباع هذه الروح يصبح الانسان اماماً كبيراً لهذا المعبد الاكبر — الكون — جاريّاً على قواعد الخالق ، تابعاً لقوانينه ، لا يحاول عبثاً ان يقاومها ويدافعها ، ولم اعرف قط تعريفاً للواجب احسن من هذا والصواب كل الصواب في السير على منهاج الدنيا ، فان الفلاح — في ذلك (اذا كان منهاج الدنيا هو طريق الفلاح)

وجاء محمد وشيخ النصراني تقيم اسواق الجدال وتمخبط بالحجج الجائرة وماذا افاد ذلك وماذا اثر ؟ اما ان الاله ليس صفة ترتيب القضايا المنطقية وحسن انتاجها وانما هو ان خلق الله واما ادم يمتدنون تلك الحقائق الكبرى ؟ لقد جاء الاسلام على تلك الملل الكاذبة والنحل الباطلة فابتاعها وحق له ان يتلها لانه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة وما كاد يظفر الاسلام

حتى احترقت فيه وثنيات العرب وجدليات النصرانية ، وكل ما لم يكن بحق ، فانها حطب ميت اكنته نار الاسلام . فذهب والنار لم تذهب .

القرآن واعجازه

اما القرآن فان فرض اعجاب المسلمين به وقولهم باعجازه هو اكبر دليل على اختلاف الافواه في الامم المختلفة . هذا وان الترجمة تذهب باكثر جمال الصنعة وحسن الصياغة ولذلك لا عجب اذا قلت ان الاوربي يجد في قراءه القرآن اكبر غناء ، فهو يقرأه كما يقرأ الجرائد ، لا يزال يقطع في صفحاتها قفاراً من القول الممل المتعب ، ويحمل على ذهنه مضابا وجبالا من الكلام ، لكي يعثر في خلال ذلك على كلمة مفيدة ، اما العرب فيرونه على عكس ذلك لما بين آياته وبين أذواقهم من الملائمة ، ولأن لا ترجمة ذهبت بحسنه ورواقه ، فلذلك رآه العرب من المعجزات واعطوه من التبجيل ما لم يعطه اتقى النصارى لانجيلهم ، وما يروح في كل زمان ومكان قاعدة التشريع والعمل ، والقانون المنبع في شؤون الحياة ومسائلها والوحي المنزل من السماء هدى للناس وسراجاً منيراً ، يضي لهم سبل العيش ويهديهم صراطاً مستقيماً ، ومصدر أحكام القضاة ، والدرس الواجب على كل مسلم حفظه والاستنارة به في غياهب الحياة ، وفي بلاد المسلمين مساجد يتلى فيها القرآن جميعه كل يوم مرة ، بتقاسمه ثلاثون قارئاً على التوازي وكذلك ما يروح هذا الكتاب يرن صوته في آذان الالوف من خلق الله وفي قلوبهم اثني عشر قرناً في كل آن ولحظة ، ويقال ان من الفقهاء من قرأه سبعين الف مرة !!

الاخلاص من فضائل القرآن

إذا خرجت الكلمة من اللسان لم تتجاوز الأذان ، وإذا خرجت من القلب نفذت إلى القلب ، والقرآن خارج من فؤاد محمد ، فهو جدير أن يصل إلى أفئدة سامعيه وقارئيه ، وقد زعم «براديه» وأمثاله أنه طائفة من الأخاديع والتزاييق لفقها محمد لتكون أعذاراً له عما كان يرتكب وبقتر ، وذرائع لبلوغ مطامعه وغاياته ولكنه قد أن لنا أن نرفض جميع هذه الأقوال ، فاني لا مقت كل من يرمي محمداً بمثل هذه الأكاذيب . وما كان ذو نظر صادق ليرى قط في القرآن مثل ذلك الرأي الباطل . والقرآن لو تبصرون ما هو الاجرات ذا كيات قذفت بها نفس رجل كبير النفس بعدان أوقدتها الأفكار الطوال ، في الخلوات الصامتات ، وكانت الخواطر تبراكم عليه باصرع من لمح البصر ، وتتزاحم في صدره حتى لا تسكاد تجد مخرجاً ، وقليل ما انطق به في جانب ما كان يجيش بنفسه العظيمة القوية ، هذا وقد كان تدفع الوقائع وتدفع الخطوب يعجله عن روية القول ، وتنميق الكلم ويا لها من خطوب كانت تطيح به ، وتطير فلقد كان في هذه السنين الثلاث والعشرين قطبا لرحي حوادث متلاطات متصادمات وعالم كله هرج ومرج وفن ومحن — حروب مع قریش والكفار ومخاصمات بين اصحابه ، وهياج نفسه وثوراتها — كل ذلك جعله في نصب دائم وعناء مستمر فلم تذوق نفسه انراحة بعد قيامه بالرسالة قط ، وقد اتخيل روح محمد الحادة النارية وهي تملل طول الليل الساهر يطفو بها الوجد ويرسب وتدور بهادوامات الفكر حتى اذا اسفرت لها بارقة رأي حسبته نوراً هبط عليها من السماء وكل عزم مقدس بهم به يخاله جدير بل ووحيه . أيزعم الافاكون الجهلة

انه مشعرذ ومعتال ؟ كلا ثم كلا ! ما كان قط ذلك لقلب المحتدم الجائش
كأنه تنور فكري يغور ويتأجج ، لئلا يكون قلب معتال ومشعرذ ، لقد
كانت حياته في نظره حقاً ، وهذا الكون حقيقة رائعة كبيرة .

الاخلاص منشأ الفضائل

والاخلاص المحض الصراح يظهر لي انه فضيلة القرآن التي حبيته الى
العربي وهي اول فضائل الكتاب أبداً كان وآخرها وهي منشأ فضائل غيرها
بل لا شيء غيرها يمكنه ان يبعث للكتاب فضائل اخرى ومن العجب ان
نرى في القرآن عرقاً من الشعر يجري فيه من بدايته الى نهايته ثم يتخلله
نظرات نافذات — نظرات نبي وحكيم — اجل لقد كان محمد في شؤون
الحياة عين بصيرة ثم كان له قدرة عظيمة على ان يوقع في اذهاننا كل ما
ابصره ذهنه .

القرآن مجلى امرار الامور

انا لا احفل كثيراً بما جاء في القرآن من الصلوات والتحميد والتعجب
لاني ارى لها في الانجيل شبيهاً ، ولكنني شديد الاعجاب بالنظر الذي
ينفذ الى امرار الامور ، فهذا اعظم ما يلدني ، وبعجبي وهو ما اجده في
القرآن ، وذلك كما قلت فضل الله يوءتبه من يشاء .

المعجزات في نظر الاسلام

وكان محمد اذا سئل ان يأتي بمعجزة قال : حسبكم بالكون معجزة
انظروا الى هذه الارض اليس من عجائب صنع الله ؟ واية على وجوده
وعظمته ؟ هذه الارض التي خلقها الله لكم ونهج لكم فيها سبلا تسهون

في مناكبها وتأكلون من رزقه وهذا السحاب المسير في الافاق لا يدري
من اين جاء وهو مسخر في السماء كل سحابة كارد أسود ثم يسبح بمائه
ويهب ليحبي ارضا مواتا ويخرج منها نباتا ونخيلا واعنابا . أليس ذلك
آية ؟ والانعام خلقها لكم تحمول الكلال لبنا وهي فخر لكم . والسفن —
وكثيرا ما يذكر السفن -- كالجبال العظيمة المتحركة تنشر اجنحتها
وتحتفر في سواها . لها حاد من الريح ويدا تسير اذا هي قد وقفت بغتة
وقد قبض الله الريح . معجزات والله كل هذه وأي معجزات بمداهار يدون ؟
الستم انتم معجزات ؟ لقد كنتم صفارا وقبل ذلك لم تكونوا أبدا ثم
لكم جمال وقوة وعقل « ثم أوهبكم الرحمة أشرف الصفات » وتهرمون
ويأتيكم المشيب وتضعفون وتمن عظامكم وتموتون فتصبحوا غير
موجودين « ثم ووهبكم الرحمة » لقد ادهشتني جدا هذه الجملة فان الله ربما
كان خلق الناس بلا رحمة فاذا كان يكون امرهم ؟ هذه من محمد نظرة
نافذة الى لباب الحقيقة . وكذلك ارى في محمد دلائل شاعرية كبيرة
وايات على اشرف المحامد واكرم الخصال . واتبين فيه عقلا راجعا عظيما
وعينا بصيرة وفوا ادا صادقا ورجلا قويا عبقريا لو شاء لكان شاعرا فحلا
او فارسا بطلا . او ملكا جليلا . او اي صنف من اصناف الابطال

نعم لقد كان العالم في نظره معجزة اي معجزة . وكان يرى فيه كل
ما كان يراه اعظم المفكرين حتي ام الشمال المتوحشة . وهو ان هذا
الكون الصلب المادي انما هو في الحقيقة لا شيء — انما هو اية على وجود
الله منظورة ملوسة وهو ظل علقه الله على صدر الفضاء لا غير . وكان
يقول : هذه الجبال الشامخات ستحلل وتذوب مثل السحاب وتغنى وكان

يقول : الجبال او تاد الارض ، وانها ستفنى كذلك يوم القيامة وان الارض
في ذلك اليوم العظيم تنصاع وتنقبت وتذهب في الفضاء هباءً مشورا ،
فتنعدم ، وكان لا يزال واضحا لعينه سلطان الله على كل شيء وامتلاء
كل مكان بقوة مجهولة ، وروثق باهر ، وهول عظيم ، هو القوة الصادقة
والجوهر والحقيقة ، وهذا ما يسميه علماء العصر القوى والمادة ، ولا يروونه
شيئا مقدسا ، بل لا يرونه شيئا واحداً وانما هو اشياء تباع بالدرهم ونوزن
بالمئقال ، وتستعمل في تسيير السفن البخارية ، فسرعان ما تنسى الكيمياء ويات
والحسابيات ما يكمن في الكائنات من سر الله ، وما افحش ذلك النسيان
عاراً واكبر هذه الغفلة اثماً ، واذا نسينا ذلك فأي الامور يستحق الذكر
اذن ، فمعظم العلوم اشياء ميتة خاوية بالية — بقلة ذابلة ، نعم وما احسب
العلوم لولا ذلك الا خشباً يابساً ميتاً وليس هو بالشجرة النامية ، ولا بالغاية
الكثيفة الملتفة ، التي لا تبرح تمدك بالخشب اثر الخشب فيما تمدك وتعطيك ؛
ولن يجد المرء السبيل الى العلم حتى يجده اولا الى العبادة ، اعني ان لا علم
الا لمن عبد ، والا فاما العلم الا شقيقة كاذبة ، وبقلة كما قلت ذابلة

الرد على متهمي الاسلام بشهوائمه

وقد قيل وكتب كثيراً في شهوانية الدين الاسلامي ، وأرى كل
ما قيل وكتب جوراً وظلماً ، فان الذي اباحه محمد مما تحرمه المسيحية لم يكن
من تلقاء نفسه ، وانما كان جارياً متبعاً لدى العرب من قديم الازل ، وقد
قلل محمد هذه الاشياء جهده ، وجعل عليها من الحدود ما كان في امكانه
ان يجعل ، والدين المحمدي بعد ذلك ليس بالسهل ولا بالهين ، وكيف
ومعه كل ما تعلمون من الصوم والوضوء ، والقراءة الصعبة الشديدة ،

واقامة العملة خماساً في اليوم ، والحرمان من الخمر ، وليس كما يزعمون ،
 كان نجاح الاسلام وقبول الناس اياه سهولته ، لانه من الخش الطعن على
 بني آدم والقذح في اعراضهم ، ان يتهموا بان الباعث لهم على محاولة الجلائل
 واتيان الجسائم ، هو طلب الراحة واللذة ، التماس الحلوم من كل صنف في
 الدنيا والاخرة ! كلا فان اخس الادميين لا يخلو من شيء من العظمة
 والجلال ، فالجندى الجامل الجلف الذي يوجر يمينه وروحه في الحروب
 باجر بخس ، له مع ذلك « شرف » يخلف به قتراه لا يبرح يقول : لا فعلن
 ذلك وشرفي ، وليست أمنية أحقر الادميين هي ان يأكل الحلوى ، بل
 ان يأتي عملاً شريفاً وعملاً محموداً ، ويثبت للناس انه رجل فاضل كريم
 ليعمد ايكم الى ابلد انسان فيريه سبيل المكرمات والمحامد ، فاذا هو قد تاجج
 قلبه حماساً وانقدت نفسه غيرة ، وضار في المال بطلا ، ومسا اظلم الذين
 يتهمون الانسان بقولهم انه ميال بفطرتة الى الراحة ، وانه يستهوى بالترف
 ويستغوي باللذة ، انما مغريات الانسان وجاذباته هي الاهوال والصعاب
 والاستشهاد والقتل ، اقدح ما بنفس المرء من زفاد الفضل ، نذك نارا تحرق
 سائر ما فيه من الخسائس والنقائص ، وما كان قط اعتناق الناس لدين من
 الاديان لما يرجون من متاع ولذة ، بل لما يشور في قلوبهم من دواعي
 الشرف والعظمة .

برائة محمد من الشهوات وتواضعه وتقصفه

وما كان محمد اخا شهوات ، يوغم ما اتهم به ظفوا وعدوانا ، وشهد
 ما نجور ونخطي . اذا حسبناه رجلا شوياء ، لاهم له الا قضاء ما ربه من

الملاذ ، كلا فما ابعد ما كان بينه وبين الملاذ اية كانت ، لقد كان زاهداً
متقشفاً في مسكنه ، وما كله ، ومشربه ، وملبسه ، وسائر اموره واحواله
وكان طعامه عادة الخبز والماء ، وربما تنابعت الشهير ولم توقد بداره نار
وانهم ليند كرون - ونعم ما يند كرون - انه كان يصلح ويرفو ثوبه
بيده ، فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة ؟ فخبذا محمد من رجل خشن
اللباس ، خشن الطعام ، مجتهد في الله قائم النهار ، ساهر الليل ، دائباً في نشر
دين الله ، غير طامع الى ما يطمع اليه اصاغر الرجال من رتبة او دولة او
سلطان ، غير مطلع الى ذكر او شهرة كيف كانت ، رجل عظيم وربكم
والا فما كان ملاقياً من اولئك العرب الغلاظ توقيراً واحتراماً وكباراً
واعظاماً ، وما كان يمكن ان يقودهم ويعاشرهم معظم اوقاته ، ثلاثاً
وعشرين حجة وهم ملتفون به يقاتلون بين يديه ، ويجاهدون حوله ، لقد
كان في هؤلاء العرب جفاء ، وغاظة ، وبادية ، وعجرفة ، وكانوا
حماة الانوف ، آباء الضيم ، وعز المقادة ، صعاب الشكبة ، فمن قدر على
رياضتهم ، وتذليل جانبهم حتى رضخوا له واستقادوا فذلكم وايم الله
بطل كبير ، ولولا ما ابصروا فيه من آيات النبيل والفضل ، لما خضعوا
له ولا اذعنوا ، وكيف وقد كانوا أطوع له من بناته

وظني انه لو كان أتبع لهم بدل محمد قيصراً من القيصرية ، بتاجه وصولجانه ،
لما كان - مصيباً من طاعتهم مقدار ما ناله محمد ، في ثوبه المرقع بيده
فكذلك تكون العظمة ، وهكذا تكون الابطال

مكرمات محمد و اخلاقه

و كانت اخر كلماته نسيحاً وصلاة - صوت فؤاد يهيم بين الرجا
والخوف ، ان يصعد الى ربه ، ولا نحسب ان شدة تدينه ازرت بفضله
كلا بل زادته فضلاً ، وقد يروى عنه مكرمات عالية ، منها قوله حين
رزي غلامه :

العين تدمع والقلب يوجع ، ولا نقول ما يسخط الرب

ولما استشهد مولاه زيد « ابن حارثة » في غزوة « مؤتة » قال محمد :
لقد جاهد زيد في الله حق جهاده ، وقد لقي الله اليوم ، فلا بأس
عليه ، ولكن ابنة زيد وجدته بعد ذلك يبكي على جثة ابنها - وجدت
الرجل الكهل الذي دب في رأسه المشيب بذوب قلبه زمعا ! فقالت :
« ماذا أرى » ؟ قال : « صديقاً يبكي صديقه »

مثل هذه الاقوال وهذه الافعال تربنا في محمد أخا الانسانية الرحيم
- أخا جميعا الرؤوف الشفيق ، وابن أمننا الاولى وابننا الاول

براعة محمد من الرياء والتصنع

واني لاحب محمداً لبراعة طبعه من الرياء والتصنع . واقد كان ابن
القفاً هذا رجلاً مستقل الرأي ، لا يعول الا على نفسه ولا يدعي ما ليس
فيه ، ولم يك متكبراً ولكن لم يكن ذليلاً ضرعاً ، فهو قائم في ثوبه
المرفوع كما اوجده الله ، كما اراد ، يخاطب بقوله الحر المبين ، قباصرة الروم
واكاسرة العجم ، يرشدكم الى ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة

وكان يعرف لنفسه قدرها ، ولم تخل الحروب الشديدة التي وقعت له مع
الاعراب من مشاهد قسوة ، ولكنها لم تخل كذلك من دلائل رحمة
وكرم وغفران . وكان محمد لا يعتذر من الاولى ولا يفتخر بالثانية ،
اذ كان يراها من وحي وجدانه واوامر شعوره ، ولم يكن وجدانه لديه
بالمتهم ولا شعوره بالظنين

ما كان محمد يعايش

وكان رجلا ماضي العزم ، لا يؤخر عمل اليوم الى غد ، وطالما كان
يذكر يوم « تبوك » اذ ابى رجاله السير الى موطن القتال ، واحتجوا بانه
اوان الحصيد وبالحر ، فقال لهم : الحصيد ! انه لا يلبث الا يوماً ، فماذا
تزدون للآخرة ؟ والحر ؟ نعم انه حر ولكن جهنم اشد حراً ، وربما
خرج بعض كلامه تهكاً وسخرية . اذ يقول للكفار : ستجزون يوم
القيامة على اعمالكم ، ويوزن لكم الجزاء . ثم لا تبخسون مثقال ذرة
وما كان محمد يعايش قط ، ولا شاب شيئاً من قوله شائبة اعب واهو
بل كان الامر عنده امر خسران وفلاح ومسألة فناء وبقاء ، ولم يك منه
ازاءها الا الاخلاص الشديد ، والجد المر

التلاعب بالحقائق

من افطم الجرائم

فاما التلاعب بالاقتوال والقضايا المنطقية ، والعبث بالحقائق ، فما كان
من شأنه قط . وذلك عندي افطم الجرائم ، اذ ليس هو الا رقدة القلب
ووسن العين عن الحق ، وعيشة المرء في مظاهر كاذبة ، وليس كل ما

يستنكر من مثل هذا الانسان ، هو ان جميع اقواله واعماله أكاذيب ، بل انه هو نفسه أكذوبة ، وارى خصلة المروءة والشرف — شعاع الله — متضائلا في مثل ذلك الرجل ، مضطرباً بين عوامل الحياة والموت ، فهو رجل كاذب ، لا انكر انه مصقول اللسان ، مهذب حواشي الكلام ، محترم في بعض الازمان والامكنة ، لا تؤذيك بادرته ، لين المسرفيق الملص ، لكنه كحمض الكربون ، تراه على لطفه ممماً نقيعاً وموتاً ذريعاً

المساواة بين الناس من خلال الاسلام

وفي الاسلام خلقه اراها من اشرف الخلال واجلها وهي التسوية بين الناس . وهذا يدل على اصدق النظر ، واصوب الرأي . فنفس المؤمن راجعة بجميع دول الارض والناس في الاسلام سواء .

الزكاة في الاسلام

والاسلام لا يكتفي بجعل الصدقة سنة محبوبة ، بل يجعلها فرضاً حتماً على كل مسلم ، وقاعدة من قواعد الاسلام ، ثم يقدرها بالنسبة الى ثروة الرجل . فتكون جزء من اربعين من الثروة ، تعطى الى الفقراء والمساكين والمنكوبين . جميل والله كل هذا ، وما هو الا صوت الانسانية -- صوت الرحمة والاخاء والمساواة ، يصبح من فوائد ذلك الرجل — ابن القفار والصحراء .

الجنة والنار في نظر القرآن

وينكر البعض تغلب الحسية والمادية على جنة محمد وناره ، فاقول ان العيب في ذلك على الشراح والمفسرين لا على ما جاء في الكتاب ، فان القرآن قد اقل جداً من اسناد الحسيات والماديات الى الجنة والنار ، وكل ما فيه عن هذا الشأن ايماناً واطمئناناً ، وانما المفسرون والشراح هم الذين لم يتركوا لذة حسية ، ولا متعة شهوية حتى الحقوها بالجنة ، ولا عذاباً بدنياً ، والمأجئون بها ، حتى اسندوه الى النار ، ثم لا تنسوا ان القرآن جعل اكبر ملاذ الجنة روحانياً اذ قال : « وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » فالسلام والامن هما في نظر كل عاقل اقصى امان في المرء واعظم الملاذ قاطبة ، الشيء الذي عبثاً يتلسه الانسان في الحياة الدنيا ، وقال ايضا : « وتزعمنا ما في صدورهم من غل » اخواناً على مرر متقابلين « واي رذيلة اخبث من الغل مصدر المحن والمصائب والنقم والافات ، واي شيء اهنأ من الذائف والتصافي ؟

الصيام في الاسلام

واي دليل اشهر ببراءة الاسلام من الميل الى الملاذ من شهر رمضان الذي تلجم فيه الشهوات ، وتزجر النفس عن غاياتها ، وتقنع عن مآرجها وهذا هو متهى العقل والحزم ، فان مباشرة الذات ليس بالمنكر ، وانما المنكر هو ان تذلل النفس لجبار الشهوات ، وتنفذ لحادي الاوطار والارغبات ، ولعل اجدد الخصال واشرف المكارم ، هو ان يكون للمرء من نفسه على نفسه سلطان ، وان يجعل من لذاته لا سلاسل واغلالا تعييه

وتعناص عليه ، اذا هم ان يصدحها ، بل حليا وزخارف متى شاء ، فلا شيء
 امون عليه من خايعها ، ولا اسهل من نزاعها ، وكذلك امر رمضان سواء
 اكان مقصودا من محمد معينا ، او كانت وحي الغريزة والهاما فطريا فهو
 والله نعم الامر .

الجنة والنار رمز الحقيقة الابدية

ويمكننا القول على كل حال بان الجنة والنار ، هاتين هما رمز الحقيقة
 ابدية لم تصادف من حسن الذكر قط مثلما صادفت في القرآن ، وماذا
 ترون تلك الجنة وملاذها وهاته النار وعذابها ، وقيام الساعة التي يقول عنها :
 « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ،
 وترى الناس سكارى وما هم بسكارى » ماذا ترون كل هذه الاغلا
 تمثل في خيال ذلك النبي الشاعر للحقيقة الروحانية الكبرى رأس الحقائق
 اعني الواجب ، وجسامته امره ، لقد كان هذا الرجل يرى الحياة امرا جسيما
 ويرى لكل عمل انساني معها حق خطايرة كبرى ، فما كان من سيء
 فله من سوء نتيجة ابدية ، وما كان صالحا فله من صلاح ثمرة صرمدية
 وان المرء قد نُسِمَ بصالحاته الى اعلى عليين ، ويهبط بموبقاته الى اسفل
 سافلين ، وان على عمره القصير تقوم دعائم ابدية هائلة خفية ، كل
 ذلك كان يلتهم في روح ذلك الرجل الفقري ، كلما قد نقش ثمت
 باحرف النار ، وكل ذلك قد حاول في اشد اخلاص ، واحد جد ، ان
 يخرج للناس وبصوره لهم ، فاخرجه وصوره في صورة تلك النار والجنة
 واي ثوب لبسته هذه الحقيقة ، واي قالب صبت فيه فلا تزال اولى الحقائق
 مقدسة في اي اسلوب واي صورة ،

منزلة الاسلام في قلوب المسلمين

وعلى كل حال فهذا الدين ضرب من النصرانية ، وفيه للبصريين اشرف معاني الروحانية واعلاها ، فاعرفوا له قدره ، ولا تبخسوه حقه ، ولقد مضى عليه مئتان والفس عام وهو الدين القويم ، والصراط المستقيم ، لخمس العالم ، وما زال فوق ذلك ديناً يؤمن به املة من حبات افئدتهم ، ولا احسب ان امة من النصارى اعتصموا بدينهم ، اعتصام المسلمين باسلامهم ، اذ يوقنون به كل اليقين ، ويواجهون به الدهر والابد ، وسينادي الحارس الليلة في شوارع القاهرة احد المارة « من السائر ؟ » فيجيبه السائر « لا آله الا الله » وان كلمة التوحيد والتكبير والتهليل لترن آناء الليل اطراف النهار ، في ارواح تلك الملايين الكثيفة ، وان الفقهاء ذوي الغيرة في الله والتفاني في حبه ، لياتون شعوب الوثنية بالهند والصين والمالاي ، فيهدمون اضاليهم ، ويشيدون مكانها قواعد الاسلام ، ونعم ما يفعلون ،

تأثير الاسلام على العرب وفضله عليهم

ولقد اخرج الله العرب بالاسلام ، من الظلمات الى النور ، واحبى به من العرب امة هامة وارضاها مدة ، وهل كانت الافئسة من جواله الاعراب ، خاملة فقيرة تجوب الغلاة ، منذ بدء العالم ، لا يسمع لها صوت ولا تحس منها حركة ، فارسل الله لهم نبياً بكلمة من لدنه ورسالة من قبله فاذا الخول قد استحال شهرة ، والعموض نباة ، والضعة رفعة ، والضعف قوة ، والشرارة حريقاً ، وسم نوره الانحاء ، وعم ضوؤه الارحاء ، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب ، والمشرق بالمغرب ، وما هو الا قرن بعد هذا

لحادث ، حتى أصبح لدولة العرب رجل في الهند ، ورجل في الاندلس
واشرقت دولة الاسلام حقبا عديدة ، ودهورا مديدة ، بنور الفضل
والنبيل ، والمروءة والبأس ، والنجدة ، ورونق الحق والهدى ، على نصف
المعمورة ، وكذلك الايمان عظيم وهو مبعث الحياة ، ومنبع القوة ، وما
يزال للامة رقي في درج الفضل ، وتعريج الى ذرى المجد ، ما دام مذهبها
البقين ومنهجها الايمان ، أستم ثرون في حالة اولئك الاعراب ومحمد
وعصرهم ، كأنما قد وقعت من السماء شرارة على تلك الرمال ، التي كان
لا يبصر بها فضل ، ولا يرجى فيها خير ، فاذا هي بارود مريع الانفجار
وما هي بمثل ميت ، واذا هي قد تأججت واشتعلت ، واتصلت نيرانها
بين غرناطة ودلهي

ولعلنا قلت ان الرجل العظيم كالشهاب من السماء ، وسائر الناس في
انتظاره كالخطب ، فما هو الا ان يسقط حتى يتأججوا ويلتهبوا

العروة الوثقى

للامامين الحكيمين

السيد جمال الدين الافغاني - والشيخ محمد عبده

رضي الله عنها

٥٢٨ صفحة ، ورق جيد - طبع جميل

٤٠ - ثمنه اربعون قرشاً سوريا - ٤٠



تَحْتِ رَايَةِ الْفِرَّانِ

تأليف

نابغة الأدب ، وحجة العرب ، الاستاذ

مصطفى صادق الرافعي

في الرد على الدكتور

طه حسين

في كتابه « في الشعر الجاهلي »

٤٤٠ صفحة بالقطع الكبير

ثمة ٠ ٤٠ اربعون قرشاً سوريا